قضية الوحدة الوطنية عند جرامشي في ضوء فلسفته التاريخية
" دراسة تحليلية نقدية"

د/ سهام رسلي عبد الباسط عسران(*)

الملخص:

في هذا البحث تحاول الباحثة كشف النقاب عن موقف جرامشي العميق بصدد قضية ذات البعدين التاريخي والسياسي, وهي قضية الوحدة الوطنية وهي تضرب بجذورها في عمق الوجود الانساني, كما تحاول أن تكشف عن البعد الطبقي وعلاقته بالوحدة الوطنية وذلك لمعرفة كنه العلاقة بين الاقتصادي والسياسي والوطني والطبقي.

لقد استطاع جرامشي من خلال هذا البحث توضيح العلاقة بين النظرية والتاريخ والأحزاب والجماهير في نوع من المشاركة لا اللفظية، ولكن أيضاً الفعلية متأثراً في ذلك بالفلسفة الماركسية ومقولاتها الفلسفية المعروفة وخاصة في اهتمامها بالبناء الفوقي والتحتي.

إن جرامشي الإيطالي الجنسية لم يبتعد أبداً عن المعايشة لهذا المجتمع نظرياً وعملياً، مما جعل الأجواء السياسية والتاريخية لإيطاليا لها بصماتها الخاصة على رؤية جرامشي مستلهماً منها تنظيراته المتعددة.

ولذلك وجدت الباحثة أن البحث حول جرامشي وفي هذه القضية (الوحدة الوطنية) يتطلب منا الاهتمام بعدة مواقف له ومنها موقف جرامشي من الدين والتاريخ والثقافة والوحدة الوطنية ثم تعريف المثقف وتصنيف المثقفين. ثم انتهت في هذا البحث بعقد العلاقة بين النظرية والممارسة الفعلية في قضية الوحدة الوطنية.

أما المنهج الملائم لهذه الدراسة فهو المنهج التحليلي النقدي والذي ستحاول الباحثة تطبيقه على كل جزئيات هذا البحث.

أما نتائج البحث: فهي كثيرة ونذكر منها على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر...

١. واقعية بلا حدود, إنها فلسفة جرامشي وخاصة في موضوع غاية في الواقعية, وهو الوحدة الوطنية على مستوى الممارسة الفعلية.
٢. احتلت الثقافة مكانة عظيمة في فلسفة جرامشي السياسية, فقد مثلت الثقافة دوراً أساسياً في صياغة الوحدة الوطنية, ولذلك كانت دعوته لنا إلى الدور الاجتماعي والسياسي للمثقف الحقيقي.
٣. جرامشي في فلسفة التاريخ تأملي هيجلي وواقعي ماركسي في نفس الوقت, فلا ممارسة دون تنظير ولا تنظير دون ممارسة.

(*) مدرس بقسم الفلسفة كلية الآداب جامعة جنوب الوادي

٤. اعتبار جرامشي مثقف ثوري من الطراز الأول لأن المثقف الثوري هو الوحيد القادر على النقد دون خشية، وبالتالي قادراً على تغيير الواقع للأفضل، بما يتوافق مع رغبة الجماهير وآمالها المنشودة.

الكلمات المفتاحية: طبقة اقتصادية، الهيمنة، الإنسان الجماهيري، الانحراف الثقافي، الحركة الجماهيرية.

Abstract:

In this research, the researcher tries to unveil Gramsci's opinion on an issue that has political and historical dimensions; it is the national unity issue, it is rooted deep in the human existence. The researcher also tries to reveal the class dimension and its relation to the national unity issue in order to know the essence of the relationship between the economic, political, national, and class dimensions .

Through this research, Gramsci could clarify the relationship between theory, history, parties, and masses in a kind of participation and actuality not verbally, influenced in this by Marxist philosophy and its well-known philosophical statements, especially in its interest in superstructure and substructure.

Gramsci, whose nationality is Italian, has never been far from experiencing this society theoretically and practically which made the political and historical atmosphere of Italy have its own impact on Gramsci's vision as he inspired his many theories from.

That's why the researcher finds that the research about Gramsci and the national unity issue require us to give attention to many of his opinions, including Gramsci's opinion on religion, history, culture, and national unity, then defining the intellectual and classifying intellectuals.

Then, this research concluded by establishing the relationship between theory and actual practice in the issue of national unity.

The appropriate method for this study is the critical analytical method that the researcher will try to apply to all parts of this research.

As for the results of the research: they are many and we mention them as examples but not limited to...

1. Unlimited realism, it is Gramsci's philosophy especially on a very realistic topic which is national unity at the level of actual practice.
2. Culture had a significant place in Gramsci's political philosophy. Culture played an essential role in formulating national unity, and therefore he called us to the social and political role of the true intellectual.
3. Gramsci in the philosophy of history is a Hegelian speculative and a Marxist realist at the same time. There is no practice without theorizing and no theorizing without practice.
4. Gramsci is considered a first-class revolutionary intellectual because the revolutionary intellectual is the only one capable of criticizing without fear, and thus able to change reality for the better, in accordance with the desires and desired hopes of the masses.

Key Words: economic class, supremacy, collective man, cultural deviation, mass movement .

مقدمة:

يشكل فكر جرامشي(*)«عن الوحدة القومية الإيطالية» نموذجًا منهجيًا نادرًا لتفكير ماركسي في المسألتين الوطنية والقومية لا يقيم التعارض بين الوطني–القومي والطبقي بل يعتمد التحليل التاريخي والطبقي لتتبع مسارات وعوامل الترابط والتمفصل والتأثير المتبادل بينهما. والأهم أنه لم ينسق إلى إقامة التعارض بين الوطني– القومي والأممي، بل عَدَ الثاني امتدادًا للأول.

يكشف جرامشي عدم التطابق الضروري بين الطبقة الاقتصادية والطبقة السياسية. تستعير البرجوازية، في حقبة صعودها خصوصاً، عناصر من علاقات إنتاج وعلاقات اجتماعية وقوى اجتماعية و سياسية، سابقة على الرأسمالية؛ لتؤدي أدوارها في تمثيل الرأسمالية وتوفير الإطارات لحكمها ولسلطتها ولإدارتها.

ويعد جرامشي ذلك المفكر المناضل الذي ظل يتساءل باستمرار عن كيفية تحقيق الانتقال من النظرية إلى التاريخ. وفعلاً لقد اجتهد كي يحقق وحدة الممارسة بين التاريخ والفلسفة، وعلى الصعيد الثوري السياسي عمل بثبات على تحقيق الوحدة بين العفوية والقيادة الواعية ممثلة بحركة المجالس العمالية، وطبيعة علاقة الحزب بالجماهير وبين القيادة والقاعدة، الحزب/ يساوي التثقيف/ يساوي المثقف الجماعي. أما على الصعيد النظري، فقد أكد بأنه من الممكن أن يحدث تعارض النظرية المعاصرة مع المشاعر العفوية للجماهير، ولكن" هذا التعارض هو تعارض كمي وليس تعارضاً نوعياً" المهمة كما يراها جرامشي تتمثل في تحقيق ارتباط الماركسية بالحكمة الشعبية فتستوعبها وتتجاوزها في آن معاً. وهنا يبدو – كما نرى – التحالف الفكري بين جرامشي والمقولات الماركسية من حيث إن الماركسية هي فلسفة عملية تصعد من البناء التحتي إلى البناء الفوقي.

لعل أبرز ما يميز هذا المفكر المناضل تأكيده على ضرورة الانطلاق من خصوصية الواقع المحلي الإيطالي في حالته لإيجاد الطريق الخاص إلى بناء الاشتراكية، وكانت الكيفية التي يتم بواسطتها تحقيق الانتقال من النظرية إلى التاريخ موضع سؤال دائم لديه.

وقد كرّس جرامشي بحوثه النظرية لمفهوم " الهيمنة" الذي نبعت صياغته الأولى من خلال دوره في المجالس العمالية التي كان وراء تأسيسها في مدينة تورينو الصناعية عام ١٩١٩ ,

---

* **جرامشي(١٨٩١م– ١٩٣٧م)** منظر ماركس ومؤسس الحزب الشيوعي الإيطالي وقد أصدرت محكمة فاشية (عام ١٩٢٨) حكمها عليه بالسجن عشرين عامًا بسبب أوجه نشاطه الثورية، وأدى جرامشي دورًا بارزًا في كشف النزعة الآلية والأساس الأيديولوجي للانحراف اليميني، وقد انتشرت كتاباته في بعض الأحزاب الشيوعية في أوروبا في العقد الثاني للقرن العشرين، كتاباته الأساسية واردة في كتابه " صور من السجن وقد كرس نفسه لدراسة مشكلات المادية التاريخية وشغف بعلم الاجتماع وعلم الجمال وتاريخ الفلسفة ...إلخ ومن أهم مؤلفاته شجرة القنفذ وكراسات السجن وقضايا المادية التاريخية وغيرها. **انظر**: م. روزنتال، ب. يودين: **الموسوعة الفلسفية (غ– ى)**, ترجمة سمير كرم , دار الطليعة , بيروت , ص ٣١٩

وشهدت هذه المدينة في إحدى مراحلها تجربة سيطرة عمالها على مصانعها فراحوا يديرونها بأنفسهم في ظل قيادة جرامشي نفسه. وتتكون عناصر هذا المفهوم من :

١ــ بسط الطبقة العاملة هيمنتها على مرافق المجتمع كافة، قبل استلامها السلطة.

٢ــ منح المثقفين العضويين (اي المرتبطين بهموم المجتمع) دوراً في عملية التغيير.

٣ــ تحالف العمال مع جميع القوى الاجتماعية ذات المصلحة في عملية التغيير.

٤ــ الحفاظ على خصوصية العملية الثورية، وعدم استيراد أشكالها وأساليبها من الخارج.

ورغم أن تنزيل هذا المفهوم وتطبيقه على أرض الواقع، أو لنقل الأسلوب السياسي الشامل، سيصطدم بعقبة السيطرة الثقافية ـــ المادية التي تحوز عليها عادة الطبقات السائدة سياسياً فإنه وجد صداه في المجتمع الإيطالي حتى اليوم، فأصبح يسار الوسط الإيطالي الذي يحكم البلاد حالياً يملك ثقلاً كبيراً، كما أن التاريخ الإنساني حمل تجارب عبرت عن إمكان تحقيق هذا الأسلوب نتائج محسوسة، ومنها تاريخنا العربي؛ اذ امتلكت ثقافة المعارضة على الدوام نفوذًا جماهيرياً أوسع من نفوذ السلطات. وأعطى جرامشي أهمية خاصة لمسألة الدين ومكانته في المجتمع. وقد قسم الدين إلى رسمي وشعبي، واعتبر المجالس العمالية داخل المصانع مفتاحاً رئيساً لحل المعضلات، وحلاً وحيداً لإمكان ضمان العمال تجاوز حال الضياع والاغتراب الاقتصادي، النفسي، الثقافي، وهو الذي أدى إلى الشعور بمسؤوليتهم ومستقبلهم.

وأبرز مساهمات جرامشي النظرية كان في مجال المعرفة وكيفية إنتاج معرفة جديدة تتلاشى فيها الفروقات بين الثقافة الشعبية والثقافة المحترفة. يقول" إن نشر نمط متجانس من الفكر والفعل انطلاقاً من قيادة متجانسة، هو الشرط الأساس، لكنه ليس الشرط الوحيد، فمن الأخطاء الشائعة، الاعتقاد بأن كل فئة اجتماعية تصوغ وعيها الذاتي وثقافتها الذاتية بطرق متماثلة بالمناهج، أي بمناهج المثقفين (المحترفين) وهذا المفهوم يرتكز على ثلاث نقاط أساسية هي:

– لا تحقق الطبقات الاجتماعية ثقافتها الذاتية بطرق متماثلة.

– لا يمكن إرجاع الإنتاج الثقافي إلى جهود المثقفين المحترفين.

– ضرورة تأمين شروط ومبادرات متعددة، والمبادرة تعني هنا، الاقتراح الذي يستلزم التجريب والفعل وتحرير الإمكانات. فالمطلوب كما هو واضح ليس تثقيف الجماهير بالمعنى التقليدي، بل المطلوب هو إطلاق حركة الجماهير التي هي المنتج الحقيقي للثقافة الجديدة.

أما المنهج الملائم لهذه الدراسة فهو المنهج التحليلي النقدي والذي ستحاول الباحثة تطبيقه على كل جزئيات هذا البحث.

ولذلك تناول هذا البحث عدة محاور :

١- موقف جرامشي من الدين.

٢- موقف جرامشي من التاريخ.

٣- موقف جرامشي من الثقافة.

٤- موقف جرامشي من الوحدة الوطنية.

٥ - معني المثقف عند جرامشي.

٧- تصنيف المثقفين عند جرامشي.

أ) المثقف العضوي.

ب) المثقف التقليدي.

ج) مثقفو الشمال ومثقفو الجنوب.

٨- الوحدة الوطنية بين النظر والممارسة الفعلية.

٩- نتائج البحث.

١- موقف جرامشي من الدين

لقد حاول جرامشي، بعد ماركس وإنجلز، إعادة النظر في المسألة الدينية (*)، لكن نهجه ظل بعيدا عن توجهات الماركسيين العرب، وقد استمد جرامشي نهجه من الممارسة الكفاحية العملية، ولم يستمده من الكتب والتعليمات .وإذا كان ماركس قد قال في كتابه نقد فلسفة الحق لدى هيجل أن"الدين أفيون الشعوب "، فإن هذه العبارة لم تُفهم في سياقها؛ إذ أنه كان يقصد العلاقة بين الدولة البروسية والكنيسة البروتستانينة وموقفها من الدين باعتباره ضرورة لامتصاص ظلم ومعاناة العمال والفلاحين الفقراء، وضمان رضوخهم واستسلامهم تطبيقا لمقولة "شيشرون " أن الدين شيء لابد منه للفقراء والعبيد؛ لكي يقوموا بتنفيذ الأعمال الشاقة الموكولة إليهم وتَحمل عذابات الدنيا في مقابل أجرهم في السماء، وهنا بالتحديد يتجلى رفض ماركس للظلم الواقع على الفقراء باسم الدين، وتشبيهه بالأفيون الذي كان يستخدم علاجا لتهدئة آلام المرض في زمانه.(١)

لم يفت جرامشي أن يلاحظ النفوذ الكبير للكنيسة الكاثوليكية على الجماهير الإيطالية , وعلى تكوين الرأي العام / الحس المشترك السائد في المجتمع الإيطالي الذي يعمل لصالح الطبقة المسيطرة. خلص من تلك المعاينة إلى ضرورة الصراع بين رؤيتين للدين داخل الدين نفسه, بما

(*) من المعروف أن جميع الأديان لها علاقة بالتاريخ أي التاريخ الإنساني فصورت لنا الأديان الصراع بين الإنسان والأرض والسماء (الآلهة قديمًا) وبين الإنسان والطبيعة ومن هذا الصراع نشأت الحضارات ويبدو التاريخ هو القاسم المشترك بين الإنسان والدين.

(١) غازي الصوراني: **مدخل إلى الفلسفة الماركسية**، الطبعة الأولى , غزة, ٢٠١٨, ص ص١١٩,١٢٠

هو عقيدة, والصراع داخل المؤسسة الدينية, للتمييز بين جمهور المؤمنين والمؤسسة الدينية وأيضا للتمييز بين دين الفقراء ودين الأغنياء, دين التغيير ودين الحفاظ على الأمر الواقع, الدين الداعي إلى المساواة بين البشر والدين الذي يبرر الفقر واللامساواة والخضوع لقوى الأمر الواقع. ولم يكتف جرامشي بذلك بل دعا إلى توليد روحانية جديدة وتحديدا تعميم منظومة قيم أخلاقية بديلة لتلك التي تروج لها المؤسسة الدينية والطبقة المسيطرة / المهيمنة التي تخدمها.[١]

إن قوة الأديان, وقوة الكنيسة الكاثوليكية بشكل أخص, كانت وما زالت تكمن في شعور هذه الأديان بالحاجة الماسة إلى الوحدة العقائدية لكل الجمهور" المتدين" ونضالها ضد انفصال الشرائح المتفوقة فكريًا عن تلك الأدنى. لقد كانت كنيسة روما هي الأكثر عناداً في النضال لمنع تشكل دينين اثنين "رسميا" أي دين "المفكرين "ودين" البسطاء". ولم يبق هذا النضال دوماً بدون نتائج خطيرة حتى على الكنيسة ذاتها, ولكن هذه النتائج السلبية بقيت مرتبطة بعملية التطور التاريخي العامل على إجراء التحويل في كل المجتمع المدني الذي يحتوي ككتلة على النقد الداخلي الذي ينهش الأديان. وكان الجيزويت, بلا شك, هم أكثر من نجح في حفظ التوازن أعطوا للكنيسة طابع الحركة التقدمية التي تتجه إلى إرضاء بعض متطلبات العلم والفلسفة, ولكن كل هذا كان ومازال يحصل بإيقاع بطيء جداً ومنهجي دقيق إلى درجة أن جمهور البسطاء لم يتمكن من استيعاب هذه التحولات رغم أنها تبدو "ثورية" وديماغوجية في نظر "التكامليين".[٢] وهذا لابد أن يعكس لنا الموقف الأصيل عند جرامشي وهو الترابط بين الدين والتاريخ وتكوين الإنسان الديني المؤمن بالتاريخ والتطور والتحضر.

٢- موقف جرامشي من التاريخ:

يضع جرامشي التاريخ في موقع متعالٍ ليشمل كل من الفلسفة والعلم والسياسة, ويصرح بأن الماركسية هي تاريخانية مطلقة؛ أي أن كل الفلسفات والعلوم متضمنة الماركسية تنتمي للتاريخ بشكل حصري, أي أنها تحت مظلة التاريخ, بالإضافة إلى انتمائها إلى واقع أو حاضر محدد وبالتالي تحمل الفلسفات والعلوم ذلك الحاضر بداخلها أي أنها تعبر عنه, وبالتالي تصبح العلاقة بين الفلسفة والعلوم والتاريخ, علاقة تعبير مباشر؛ لأنها كلها معرضة لنفس الحاضر وبنفس الدرجة وهنا تتبع فكرة المعاصرة والتي سنناقشها بعد قليل.[٣] وربما نفهم من ذلك عبارة جرامشي أن الفلسفة لا يمكن فصلها عن تاريخ الفلسفة ولا الثقافة عن تاريخ الثقافة, إن

---

[١] أنطونيو غرامشي : **في الوحدة القومية الايطالية** , ترجمة : فواز طرابلسي , دار منشورات المتوسط ,الطبعة الأولى , ايطاليا, ٢٠١٧, ص١١

[٢] أنطونيو غرامشي : **الثقافة, الفلسفة والوعي النقدي**, مجلة الملتقى, العدد ١٠,٩, عبدالصمد بلكبير, ليبيا, ٢٠٠٢, ص ص ٣٣,٣٢

[٣] يوسف شوقي مجدي : **البحث عن نظرية ثورية : نقد ألتوسير لجرامشي** , مجلة أدب ونقد , العدد ٣٨٣, حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي, القاهرة, نوفمبر ٢٠١٩, ص٣٠

الفلسفة لا يمكنها أن تصنع قطيعة عن تاريخها, فالفلسفة الجديدة ستحمل في طياتها القديم باعتباره تاريخاً ولكن ماذا عن العلم؟ العلم أيضا ينتمي إلى التاريخ فيقول جرامشي لم يكن للكهرباء أهمية تاريخية إلا عندما أصبحت عنصراً من عناصر الإنتاج .

وهنا يظهر الطابع الآداتي الذي يضيفه جرامشي على العلم وعلى ذلك فالعلم بانتمائه للتاريخ يمتلك نفس قيمة الفلسفة والتاريخ ذاته وربما السياسة أيضا نتيجة التعبيرية المباشرة, وبالتالي يسقط العنصر المميز للنظرية الماركسية الذي يميزها عن باقي الأيديولوجيات : العلم كصياغة نظرية تحتوي على مفاهيم متعلقة بالواقع الموضوعي, فيقول جرامشي إن الحقيقة الموضوعية المنفصلة عن الإنسان هي فكرة ميتافيزيقية لأن تلك الحقيقة مرتبطة بوجود الإنسان , وإذا كان الإنسان موجوداً تاريخياً فتلك الحقيقة والمعارف المتعلقة بها والناتجة عنها, هي أيضاً موجودات تاريخية وهذا يؤكد تسطيح العلم الذي يتميز بالبحث باتجاه الحقيقة الموضوعية , البحث الذي تؤكده الفلسفة المادية كما قال لينين في كتابه عن "المادية والتجريبية النقدية", تلك الفلسفة المادية التي ينعتها جرامشي بالميتافيزيقية. وبناء على ما سبق, سنجد أن المسافة التي تفصل بين الفلسفة الماركسية (المادية الديالكتيكية) والعلم (المادية التاريخية) ستنتهي بالنسبة لجرامشي, أي التاريخانية ستبتلع كل شيء. وتصبح المادية التاريخية كعلم, أيديولوجيا عضوية تنتمي إلى الكتلة التاريخية, وتنتمي بالضرورة إلى البنية الفوقية للمجتمع.[1] وهنا – كما نرى – لا يختلف جرامشي كثيراً عن الأيديولوجية الماركسية سوى في اعتبار العلم بناءً فوقياً وهو محق في ذلك؛ لأن العلم ينتج عن البناء الاقتصادي (السفلي أو التحتي).

هنا تأتي فكرة المعاصرة التي أشرنا إليها سابقاً, فالتعبيرية المباشرة تجعل من كل اللحظات العلمية والفلسفية والسياسية ... إلخ, معرضة بنفس الدرجة للحاضر ومعرضة لبعضها البعض بنفس الدرجة, وفي هذا تأثر بالكلية الهيجيلية [*] التي تجعل من كل شيء مجرد انعكاس لجدل الفكرة الداخلي . أما الكلية الماركسية فتمتاز بانفصال اللحظات المختلفة واكتساب كل لحظة درجة من الاستقلال النسبي, فالبنية الفوقية لها استقلال نسبي من البنية التحتية, والأجهزة الأيديولوجية لها استقلال نسبي عن الأجهزة القمعية, ومكونات الجهاز الأيديولوجي لها درجة من الاستقلال النسبي وهكذا. وعلاقات الإنتاج هي المحددة في اللحظة الأخيرة , هنا سنجد أن اللحظات المختلفة لا تتسم بنفس التأثير كما أشار جرامشي, وأنه لا يمكن اختزال كل تلك اللحظات في التاريخ.[2]

---

[1] المرجع السابق: ص ص٣٠,٣١

[*] **الجدل**: طريقة في المناقشة، وقد أخذ معاني متعددة في المدارس الفلسفية المختلفة، **والجدل عند هيجل**: انتقال الذهن من قضية ونقيضها إلى قضية ناتجة عنهما, ثم متابعة ذلك حتى نصل إلى المطلق . **انظر**: إبراهيم مدكور: **المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية,١٩٨٣, ص٦٠

[2] يوسف شوقي مجدي: **البحث عن نظرية ثورية: نقد ألتوسير لجرامشي**, مرجع سابق , ص ص ٣١,٣٢

أسهم جرامشي في المبدأ الأساسي للمادية التاريخية التي ترى أن العلاقات الإنسانية تبنى في أي عصر على أساس متطلبات الإنتاج المادي إضافة إلى ذلك ترى هذه النظرية أن هذه العملية تملي حقيقة أن جزء من المجتمع يتولى الحكم على جزء آخر, فضلا عن ذلك, وفي مجال الوعي تقبل جرامشي المبدأ الماركسي القائل إن القوى الاقتصادية الرئيسية في أي عصر هي القوى الفكرية الرائدة في الوقت ذاته . إلا أن المبدأ الأخير عانى كثيراً من التناقضات المثيرة للاهتمام في أفضل أحواله والإهمال الصريح في أسوء أحواله وذلك في الأوساط الماركسية الغربية التي كانت سائدة في حينها من دون الإخلال باستثناء أو استثنائيين مهمين. ومن منطلق إعجابه بلينين يولي جرامشي أهمية كبيرة للوعي[*] (السياسة) في التاريخ. وبعد أن يعيد إدخاله جوانب مهمة من الفلسفة الهيجيلية في المادية التاريخية. يرى جرامشي أن " المجتمع المدني" يكسب استقلالية محدودة عن الدولة السياسية الشرعية والاقتصاد في الأنظمة الليبرالية الغربية , ويصبح المجتمع المدني مكاناً تصاغ فيه الرؤى الأخلاقية ويكتسب فيه البشر إحساساً بالوعي بالذات الذي يؤدي بدوره إلى دفعه لاتخاذ إجراء . ومن منظور تاريخي, يعد الوعي لافتة ترفق بحركة تلك العمليات " العضوية" التي تكون مسؤولة عن المباشرة بالضغوط و" الضرورات " الخاصة بالعلاقات الإنسانية وعموماً لا يمكن عزل مسألة "الهوية" أو "الوعي بالذات" عن التاريخ وعن صراع متواصل للتعليم والانعتاق من تناقضات العلاقات الاجتماعية.[١] وهذا يكشف لنا مدى اهتمام جرامشي بجوهر ومعنى التاريخ.

والتاريخ عند جرامشي الشاب هو تاريخ حرية يبدعها ويعيشها غالبية البشر. العفوية , أي عفوية عامة الناس, هي التي صنعت ثورة أكتوبر ورفعت الحرية إلى السلطة. فهم لينين الواقعي مغزى هذه العفوية ودورها الحاسم . وكان على التنظيم الفكري السياسي أن يلتحم بها في الصميم فتتشابك الحدوس النظرية مع قيم وغرائز وهموم وأذواق وإرادات عموم الكادحين . الثورة الروسية برهان التاريخانية.[٢]

٣- موقف جرامشي من الثقافة:

اهتم جرامشي بالمؤسسات الثقافية وبالإنتاج الفكري : فلسفة, دين, أدب- بما فيه الرواية البوليسية : لسانيات, اجتماع, تربية, فن ,...إلخ وكان اهتمامه الخاص بثقافة الجماهير وبتراثها. هذه الجماهير لا تتوصل إلى بلورة ثقافة عضوية مستقلة . ثقافتها خليط بين ما تتلقاه من الطبقات المسيطرة عليها وما يبقي لها من تراثها. وعيها لا يعبر بالضرورة عن واقعها ومصالحها. وقد

---

[*] وفي هذا إشارة من جرامشي ليس فقط على أهمية التاريخ وبعده السياسي بل وأيضًا في الوعي بالتاريخ الذي يشكل المواقف السياسية.

[١] نيجيل م. جريفز : **المثقفون والبنية التاريخية للمعرفة والهوية : إعادة تقييم لأفكار جرامشي بشأن القيادة** , ترجمة: شاكر حسن راضي, مجلة المعرفة, العدد٦٣٤, وزارة الثقافة, سوريا, ٢٠١٦, ص٤٥

[٢] عبدالعزيز لبيب: **الواقعية الطوباوية والأسطورة عند غرامشي الشاب**, مجلة الفكر العربي المعاصر, العدد ١٢٠,١٢١, مركز الإنماء القومي, بيروت, ٢٠٠٢, ص ١٠٠

يناقض عندها الوعي العمل. لذلك لا يعول جرامشي على التناقضات ولا يترقبها ترقب من يتصورها عارية سافرة, هو أقرب إلى العمل الذي " ينظم – كضرورة تاريخية- الجماعات البشرية ويهيئ الميدان الذي فيه يتحرك الناس ويكسبون وعياً بموقعهم " ويناضلون".[١] وإذا كان هذا هو حال جرامشي – كما ترى الباحثة – إلا أن الماركسية على العكس تهتم بتناقضات المجتمع وخاصة المجتمع البرجوازي والفكر الرأسمالي.

يقول جرامشي: " يجب على الأمير الحديث أن يكون , وليس بوسعه إلا أن يكون , المبشر والمنظم للإصلاح الثقافي والأخلاقي, أي أن عليه خلق أسس التطور المستقبلي للإرادة الجمعية القومية الشعبية نحو تحقيق شكل أعلى شامل للحضارة الحديثة".[٢] وهنا تبدو العلاقة وثيقة بين السياسي والأخلاقي والثقافي مما يشكل عنصراً رئيسياً- كما نرى- في مسألة الوحدة الوطنية.

من هنا تنبع أهمية العامل الثقافي في صنع النضال من أجل هيمنة البروليتاريا العالمية. ولأن جرامشي كان أكثر الماركسيين حرصاً في عهده على الربط بين النظرية والممارسة السياسية, وبين التحولات الراديكالية الثورية والتراث الثقافي البرجوازي, كان من الطبيعي أن يثمن دور المثقفين ؛ لأنهم رعاة هذا التراث . ولنا هنا أن نعمم , دون حذر, الفكرة الجرامشية حول "المثقف العضوي" باعتباره جسراً بين الثقافة "العالية" وبين أسس الإستراتيجيات السياسية المبنية على خطاب مفهوم لدى العامة ؛ لنصل إلى حقيقة أن الحزب يحتاج بالضرورة إلى مفكرين ومثقفين يقودون العمل الثقافي في داخل التنظيم وخارجه. وهكذا, يرتدي الحزب, بصورته الأخيرة ثوب ما يسميه جرامشي " المثقف الجمعي" . الأمير الحديث, كما يراه المفكر الماركسي الإيطالي, هو إذًا العقل الذي يغير العالم ويقوده نحو واقع ديموقراطي اشتراكي.[٣]

التحليلات الخاصة للمثقفين ولوظيفتهم في المجتمع التي قام بها جرامشي قادته إلى نتيجة مهمة, وهي ضرورة الهيمنة الثقافية من أجل نجاح أية سلطة .[٤] وينظر إلى مفهوم الهيمنة على أنه تحالف بين الطبقات .[٥] وهو يربط قدرة أي طبقة اجتماعية على السيطرة على الحكم بقدرتها على تكوين هيمنة ثقافية خاصة بها" إن تفوق مجموعة اجتماعية معينة يظهر بطريقتين اثنتين كسيطرة وكقيادة فكرية ووجدانية . فالمجموعة تكون مسيطرة على المجموعات الخصم وتميل إلى

---

[١] الطاهر لبيب : **درس غرامشي**, مجلة الملتقي, العدد ١, عبدالصمد بلكبير , ليبيا, ١٩٩٧, ص ص ٣٤,٣٥

[٢] أنطونيو غرامشي : **الأمير الحديث قضايا علم السياسة في الماركسية**, ترجمة: زاهيي شرفان , قيس الشامي, الطبعة الأولى, منشورات الجمل, بيروت, ٢٠١٧, ص ٢٩

[٣] محمود جرن : **غرامشي وتحديات الوعي الطبقي للعولمة** , المجلة الثقافية العدد ٨٦,٨٧, الجامعة الأردنية, الأردن,٢٠١٥ , ص ص ٩٠,٩١

[٤] **مارك مجدي : أنطونيو غرامشي والعلاقة بين المجتمع والمثقفين , مجلة أدب ونقد, العدد ٣٦٩, حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي , القاهرة,٢٠١٨ , ص ٤٦**

[5] Chantal Mouffe: Gramsci and Marxist Theory, Routledge& Kegan Paul ,London,1979, p. 183

تصفيتها أو إخضاعها حتى بواسطة القوة المسلحة وتكون قائدة للمجموعات المتحالفة أو المتعاطفة معها, ويمكن للمجموعة الاجتماعية بل يجب عليها أن تكون قائدة أيضاً", وفي هذا التحليل يقدم جرامشي أهمية الهيمنة الفكرية في تثبيت وضمان السلطة والقيادة , وقد أضاف جرامشي على مفهوم الهيمنة عند لينين الذي أشار إلى وظيفة الحزب في الاستيلاء على السلطة, فإلى جانب القيادة السياسية التي يستحوذ عليها الحزب أو ما أسماه جرامشي " الأمير الحديث" , ينبغي أيضاً ايجاد قيادة ثقافية تستطيع إنجاز الإصلاح الأخلاقي والثقافي ويعطي جرامشي أهمية كبرى لموضوع الهيمنة الثقافية, توازي أهمية السيادة والسيطرة الاقتصادية والسياسية.[١] كان جرامشي بالتأكيد" لينينياً" إلى حد ما وعلى وجه الخصوص رأيه في الحزب السياسي على أنه يؤدي دوراً رئيسياً في تثقيف المجموعات المتحالفة وبالتالي تعزيز قيادتها للطبقة العاملة.[٢]

والهيمنة وفقًا لجرامشي هي نوع من السلطة الاجتماعية للسيطرة على الناس دون استخدام القوة أو التهديد باستخدامها.[٣] وكأن الهيمنة الثقافية عند جرامشي تأخذ وضع المركزية في الهيمنات الأخرى.

" إن البروليتاريا لابد أن تطرح جنباً إلى جنب مع مشكلة غزو السلطة الثقافية, لابد أن تفكر تماما كما فكرت في تنظيم نفسها من أجل السياسة والاقتصاد في تنظيم الهيمنة الاشتراكية الهادفة إلى كسر الوحدة القائمة على الأيديولوجيات التقليدية, الكسر الذي بدونه لن تستطيع البروليتاريا وعي شخصيتها المستقلة", من خلال نقده لفكر كروتشه يؤكد جرامشي أهمية الدور الثقافي في النشاط العملي . ويشدد على الناحية التربوية للاشتراكية, أي التوصل إلى ثقافة كلية ومتكاملة, أي خلق حضارة جديدة عبر تحويل واسع للوعي . وهنا يظهر تميز جرامشي داخل الحركة الاشتراكية الإيطالية ذاتها , فتأكيدا على الدور الثقافي والهيمنة الثقافية يقف على نقيض من أفكار الاشتراكي الإيطالي بورديغا[*] التي اتسمت بمعادة الثقافة والمثقفين, متأثراً ومتجهًا نحو تدعيم أفكار لابرويلا [*] الذي اعتمد الممارسة الثقافية كالممارسة الأهم.[٤]

---

[١] **مارك مجدي : أنطونيو غرامشي والعلاقة بين المجتمع والمثقفين , مرجع سابق, ص ٤٦**

[2] Steve Jones : Antonio Gramsci , Routledge Taylor & Francis Group, London and New York, 2006, p.43

[3] Alamin and Masum Sikdar: Antonio Gramsci,s political Thought: An Analysis, Research on Humanities and Social Sciences , Vol . 6, No. 18, 2016, p.2

[*] **بورديغا:** ولد في١٣ يونيو ١٨٨٩, في إركولانو في إيطاليا، وتوفى ٢٣يوليو ١٩٧٠ من أنصار الشيوعية اليسارية. **انظر: ar.m.wikipedia.org**

[*] **لابرويلا:** ولد لا برويلا عام ١٨٤٣ بقرية كاسينو في وسط إيطاليا، عن عائلة من الطبقة الوسطى؛ حيث كان والده معلمًا بالمدرسة. انتقل لابرويلا إلى مدينة نابولي ليدرس الفلسفة بجامعة نابولي. اتجه للعمل في الصحافة أثناء دراسته بالجامعة، ثم أتم الدراسات العليا ليصبح متخصصًا في فلسفة التاريخ، وعام ١٨٧٤ أصبح أستاذًا بالجامعة. عام ١٨٩٠م تحول لابرويلا من الفلسفة الهيجيلية إلى الماركسية بعد اطلاع دقيق على أعمال ماركس، ساهم في نشر الماركسية في إيطاليا من خلال عمله بجامعة نابولي وأسس الحزب الشيوعي الإيطالي إلا أنه لم يشارك في العمل بداخله.

انظر: http://eltahalof.com

[٤] المرجع السابق: ص ٤٦

من هنا أهمية جرامشي بالنسبة لثقافة الجماهير الشعبية الأكثر بساطة, وبالنسبة للفولكلور , والتي تعود إلى أصله الساردِيني (*) كذلك. ولا تصل الجماهير الشعبية والطبقة العاملة نفسها والفلاحون بشكل خاص, إلى بناء ثقافة مستقلة وعضوية. بل تتكون ثقافتهم من عناصر طارئة آتية من الطبقات المسيطرة ومأخوذة دون نقد, وتتراكب هذه العناصر مع رواسب قديمة وضمنها الرواسب الوثنية في إيطاليا. ويعاد بناء كل هذا بواسطة الثقافة الشعبية, ولكن بطريقة لا نقدية, ودون القدرة على تجاوز الطابع المتنافر لمختلف الفروع الثقافية. غير أن التناقضات الفعلية بين مصالح الطبقات المسيطرة والطبقات المسيطر عليها لا يفوتها أن تنفجر في لحظات معينة, إلا أن هذا الانفجار وفعالية الصراع لا يظهران لهذا في سياسة عضوية ومستقلة ويفسر هذا بغياب تصور مستقل للعالم وبغياب منهج نقدي في التفكير لدى الطبقات المسيطر عليها, ولذلك فهي طبقات مرؤوسة.(١)

اهتم فكر جرامشي أساساً : بالثقافة والسياسة وجوهر العلاقة العضوية بينهما, ويعتبر في الوقت نفسه أحد الأساطين الذي أبدع في هذا المجال وطور هذا النهج الثانية : اختزال أطروحات هذا النهج الثانية : اختزال أطروحات هذا الفكر المتعلقة بموضوع شاسع وشائك إلى الآن في حيز ضيق يمكن له وبالتأكيد الإساءة إلى فهم بعض المعضلات التي عالجها جرامشي أو على الأقل سيترك عدة تساؤلات معلقة حول الموضوع.(٢)

وتوُحد الثقافة على اختلاف مستوياتها, عدداً من الأفراد في مجموعات من الشرائح, وذلك بقدر اتصال بعضهم ببعض, وفهم كل منهم لطريقة الآخر في التعبير... هذه الفروق والتباينات, التي تنعكس في اللغة المشتركة, هي التي تخلق " العقبات " و" أسباب الخطأ" في الفهم, التي تحدث عنها البراجماتيون, من هنا كانت أهمية " الجانب الثقافي" حتى في النشاط العملي (الجماعي) "فالإنسان الجماعي" collective man هو وحده القادر على القيام بعمل تاريخي, وهذا يفترض وحدة " ثقافية- اجتماعية" حيث تتلاحم الإرادات الكثيرة المشتتة, المتباينة الأهداف حول هدف واحد , على أساس رؤية واحدة متجانسة للعالم ,رؤية عامة وخاصة معاً تفعل فعلها , سواء في

---

* **الأصل السرديني**: جاء سكان سردينيا الأصليون من جزيرة سردينيا والتي كانت مأهولة من خلال عدة موجات من الهجرة، من العصر الحجري القديم حتى الآونة الأخيرة. يختفي الأصل العرقي لشعب سردنيا في مجاهل عصور ما قبل التاريخ السحيقة: إذ ينتمي الاسم الإثني "سارد" إلى الأساس اللغوي ما قبل الهندي- الأوروبي، ورغم احتمالية كونهم من سلالة الإيبيريين، فقد تباينت تقارير الكتاب القدماء بشكل كبير في هذا الخصوص. ومن المعروف أن جرامشي ولد في أليس بجزيرة سردينياالإيطالية عام ١٨٦١وتوفي ١٩٣٧م. **انظر**: **ar.m.wikipedia.org**

(١) لوسيانو كروبي: **مفهوم الهيمنة عند غرامشي**, ترجمة: عبدالجليل الأزدي, مجلة الملتقى, العدد١, عبدالصمد بلكبير, ليبيا, ١٩٩٧, ص٢١

(٢) كريم زيدان: **غرامشي ومسألة الفلكور** , مجلة الملتقى , العدد ٣, عبدالصمد بلكبير , ١٩٩٩, ليبيا, ص ١٢٤

أوقات الانفجارات الطارئة (بطريقة انفعالية) أو بصورة دائمة (عندما تكون القاعدة الفكرية راسخة الجذور, تمثلها الناس وأحسوا بها لدرجة أنها أصبحت عاطفة متقدة. [١]

اهتم جرامشي باللغة القومية وبالثقافة الوطنية مبرزاً لأهمية الأدب الشعبي " والحس العام" للجماهير , فكيف نحمي الاستقلال النسبي للأشكال الفنية والأدبية ونحترم خصوصية التراث الشعبي في ظل التبعية لأشكال مستوردة من ناحية, على أنها عالمية ومتفوقة, وفي ظل أسلوب الثقافة الرسمية, والتي من ناحية أخرى تفرض قراءتها للتاريخ وبلاغتها المدرسية وإعلامها المغرض؟[٢]

يجيب جرامشي نفسه، بأن " فعل كل شخص يرتبط بثقافته , وهذه الثقافة هي بيئته, التي تعني أن كل الناس يفكرون بنفس الطريقة في تلك البيئة". وهنا كأنه يريد أن يقول لنا أن الثقافة هي المسؤولة عن تفريق الناس أو توحيدهم أما الطبيعة البشرية فهي تنحو دائماً نحو التوحيد ؛ إذ هي لا تعني سوى العلاقة بين الأجزاء. من ثم يمكننا اعتبار نقطة البدء في كل إستراتيجية تاريخية هي الانطلاق من الثقافة نفسها"؛ لأن أعضاء الوطن الواحد مهما اختلفت أراؤهم السياسية وتوجهاتهم الأيديولوجية فإن الشيء الوحيد الذي يظل يوحدهم هو الثقافة، من هنا كان جرامشي حكيماً في قوله بأن الثقافة هي الأرضية الصلبة التي يجب الانطلاق منها. وهنا نلاحظ أن تحليل جرامشي السياسي أكثر واقعية وعمقاً حتى من كثير من الفلاسفة السياسيين الذين جاءوا من بعده، فهو لم يقل بوضع افتراضي متخيل لا علاقة له بالواقع لمعالجة الواقع، بل ذهب بأن القول إلى أن مشاكل الواقع تقع في الواقع، وأن حلها يجب أن يستل من هذا الواقع نفسه، ونقطة الانطلاق في معالجة الأزمة التي تعيشها إيطاليا هي الثقافة، باعتبارها لا تقبل التقسيم بين الإيطاليين بل هي كل الإيطاليين ولا تخص مواطنا بعينه، من هنا يمكننا أن نفهم عمق ما يقوله جرامشي وقوة نظريته الواقعية.[٣]

على الرغم من أن جرامشي ماركسي التفكير، إلا أنه يصرح في مناطق متعدد من كتاباته أن كتابات ماركس ليست كتابات مقدسة ولا عيب في انتقادها، و جرامشي يفعل الشيء نفسه ؛ فإذا كان ماركس يرى أن نشر الثقافة الجماهيرية تبتدئ من الوعي بكل ما هو واقعي، ردَ هو الآخر على أستاذه هيجل الذي يرى أن الوعي ينطلق من ما هو عقلي إلى ما هو واقعي، أي هنا الانتقال من نخبوية ثقافة إلى عاميتها، فإن جرامشي لا يأخذ لا بهذا ولا بذاك بل يأخذ بهما معا في ذات الوقت، فيجعل منطلق الثقافة من المجتمع المدني في كليته التي تضم العلوي والسفلي وما

---

[١] أنطونيو جرامشي : **كراسات السجن** , ترجمة : عادل غنيم , دار المستقبل العربي , القاهرة, ١٩٩٤, ص ٣٦٤

[٢] د. أمينة رشيد : **لماذا جرامشي ؟ جرامشي (قضايا المجتمع المدني)** , دار كنعان, الطبعة الأولى , دمشق, ١٩٩١, ص١٠٤

[٣] عبدالعزيز الحال : **مفهوم الكتلة الديمقراطية عند غرامشي** , مركز نماء للبحوث والدراسات , أوراق نماء (١١٨) , القاهرة, ص ٧

بينهما، أي الانطلاق بالثقافة إلى الجماهير كما هم. فالمجتمع يحيل بالنخبوي المنفصل عن الكتلة الاجتماعية، والمثقف الواعي بارتباطه العضوي بالكتلة الشعبية الوطنية، وفي الواقع يجب كسر نخبوية الثقافة؛ لأنها لا تكرس إلا لمجتمع متشرذم الأطراف متناحر الطبقات. من هنا كانت مناداة جرامشي بالمثقف العضوي باعتباره حلقة الوصل بين الطبقة والطبقة الأخرى، وبين الحزب والجمهور، وأيضا يمكن اعتبار أن المثقف العضوي يمثل عقل الجمهور ومحرك الحزب في شكل يوحد القوى بعيداً عن كل معنى سلبي للأيديولوجيا الحزبية.[١]

من هنا يحضر مفهوم المثقف كدليل على لحمة المثقفين، كجماعة لها استمرارية على خط التاريخ لا تنقطع ، فهي تعبير عن كل الجماعات ولا تتأثر سلباً بما يصير بينهم من تناقضات، بل يمكن اعتبار تلك التناقضات هي المحرك الخفي للجماعة المثقفة. هكذا يصبح الثابت في القومية هو ثقافتها، وهو الأمر الوحيد الذي من شأنه أن يشكل أرضية لتأسيس الكتلة التاريخية، باعتبارها اسم موحد لرؤية مشتركة.[٢]

وترى الباحثة هنا أن استمرارية الثقافة لا تعني ثباتها بل تغيرها حسب تغير الزمان والمكان؛ أي أن الثقافة لها طابعها التاريخي.

والهيمنة الثقافية، يفسرها جرامشي على أنها أقسى بكثير من الهيمنة الاقتصادية؛ فالثقافة البرجوازية المسيطرة يتبنى الجميع أفكارها بالضرورة، وخصوصا الطبقة العمالية وتتلبس تصوراتها، فتغدو الهيمنة ثقافية وفكرية وليست مادية فقط. وعليه، فإن الطبقة المهيمنة هي التي تتحكم بكل المجتمع من دون أن يعارضها أحد.[٣] وإن كان لنا في هذا الشأن تحفظاتنا الخاصة – كما ترى الباحثة–

٤– موقف جرامشي من الوحدة الوطنية(*)

عبر الفيلسوف الماركسي أنطونيو جرامشي في " دفاتر السجن" التي كتبها فيما بين ١٩٢٩–١٩٣٧عن آراء متعددة حول الهيمنة, ودور المثقفين, والأمير الحديث (أي الحزب) اشتملت على آرائه في طبيعة الشعور القومي الإيطالي في الفترة التي أعقبت توحيد إيطاليا, وتأملاته حول الدور

---

[١] المرجع السابق : ص ص٨,٧

[٢] المرجع السابق : ص ٨

[٣] حفيظة بن قانة : **محاضرات في النقد الاجتماعي** , جامعة محمد البشير الإبراهيمي, الجزائر, ٢٠١٨, ص ٦٢

(*) يقصد بالوحدة الوطنية تجمع كل المواطنين تحت راية واحدة , من أجل تحقيق هدف سام يعلو فوق أي خلاف أو تحزب, فيظل ولاء أسمى, يدين به كل فرد من أفراد المجتمع, بحكم انتمائه للوطن, انتماءُ يجبُ أي انتماء طائفي أو مذهبي أو إقليمي ضيق. **انظر**: د. عبدالعزيز رفاعي , د. حسين عبدالواحد الشاعر: **الوحدة الوطنية في مصر عبر التاريخ**, عالم الكتب, القاهرة, ١٩٧٣, ص٣.

أما القومية Nationalism فلها دور مهم جدًا في الفكر السياسي من حيث عوامل تكوينها وعلاقتها بالدولة والتاريخ وهل هناك علاقة بين القومية والصراعات السياسية كل هذه الأمور تحيط بالقومية من زوايا متعددة – **الباحثة**–

البنيوي الفوقي للهيمنة الثقافية في السيطرة الطبقية, مع التركيز على عوامل التمايز بين التجربة الثورية البلشفية في عام ١٩١٧ وبين الظروف الموضوعية والذاتية في أماكن أخرى وخاصة في إيطاليا. " إن خط التطور هو بالتأكيد في اتجاه الأممية, إلا أن نقطة الانطلاق قومية .. والنتيجة أنه من الضروري أن ندرس بدقة تركيب القوى القومية التي يتوجب على الطبقة الأممية قيادتها وتطويرها.. إن الطبقة ذات الطابع الأممي يتوجب عليها أن تكتسب طابعًا قوميًا بمعنى معين".[١]

وفي عام ١٩١٩, قال جرامشي: " إن الطبقة " القومية" اليوم هي البروليتاريا , هي جموع العمال والفلاحين .. الذين لا يمكن أن يسمحوا بتجزئة الأمة لأن وحدة الدولة هي تراث الثروة الاجتماعية الذي يرغب العمال الإيطاليون في نقله إلى الأممية الشيوعية . إن دولة العمال أي دكتاتورية البروليتاريا هي وحدها القادرة اليوم على وقف انحلال الوحدة القومية". من ثم يمكن الاستنتاج أن تكون وعي قومي هو شرط مسبق لخلق دولة قومية حديثة (في إيطاليا) وهو ما عَدَّهُ جرامشي عملًا ثوريًا ينطوي على تحول ثوري لكافة العلاقات الاقتصادية القائمة.[٢]

وصل جرامشي إلى تشكيلة لقضية المجتمع المدني الذي نرى فيه سؤالنا نحن في هم عالمنا العربي الذي ما يزال يعاني من الفروق الطبقية الهائلة والاحتلال الأجنبي والتبعية , ولهيمنة النظم الأجنبية في غياب للديمقراطية ولأبسط حقوق الوجود الإنساني, بعد أكثر من قرن ونصف من بداية نهضتنا العربية وطرحنا لموضوع هوية الإنسان العربي وحريته وشروط العدالة والمساواة, في مقابل الأنظمة القهرية في الداخل والتهديدات الخارجية المختلفة, وللغزو الإمبريالي المتجدد, جيلًا بعد جيل.[٣]

فقد بلور جرامشي مفهوم المجتمع المدني في ضوء وعيه بخطورة مؤسسات الدولة الأيديولوجية, التي تضيف إلى آليات القمع – الجيش, البوليس – المحاكم, القوانين والتشريعات – طرق الاقناع: الإعلام, التعليم, الاعلان,... إلخ. فدرسها جرامشي في فاعليتها الخاصة في الدول المتقدمة, حيث تلعب دوراً أساسيًا في إحباط حركات المقاومة والتمرد وخلق " أساطير" حديثة تغذي أحلام الجماهير وتستبدل الأهداف والرغبات في العالم بديلًا زائفًا ومستلبًا, بينما تبقى الدولة القمعية أساسية في العالم المتخلف . وهنا نستطيع أن نتساءل : ما هو الدور الحقيقي للأجهزة الأيديولوجية في عالمنا العربي, وما هو شرط المجتمع المدني فيه, بين المؤسسات التقليدية المستمرة وعناصر التبعية للعالم "المتقدم" في ثوب الأيديولوجيات التكنولوجية وبين إمكانية ازدهار

---

[١] إريك كام , وفلاديمير كلودفيشيرا: **الاشتراكية والقومية**, ترجمة د. وميض نظمي, بديع نظمي, مجلة العلوم الاجتماعية , المجلد ١٢ العدد ٤, جامعة الكويت, ١٩٨٤, ص١٩٧

[٢] المرجع السابق : ص ١٩٧

[٣] د. أمينة رشيد : **لماذا جرامشي ؟ جرامشي (قضايا المجتمع المدني)**, مرجع سابق, ص١٠٤

فكر آخر ومؤسسات أخرى تخلق ظروفاً لمساعدة الإنسان العربي الحر, المسؤول, وحمايته في خلقه لحركة تغيير لفاعليات السلطة وعلاقات القوة في المجتمع العربي.[١]

ويعني جرامشي بالمجتمع المدني "الهيمنة الثقافية والسياسية؛ حيث تمارس الطبقة الاجتماعية هيمنتها على كامل المجتمع كاحتواء أخلاقي للدولة "، وبهذا المعنى قال جرامشي: "الدولة هي المجتمع السياسي زائد المجتمع المدني" وبهذا تكون العلاقة بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي علاقة جدلية [*]، تستمد الدولة عبرها المشروعية من المجتمع المدني من خلال عمل آليات السيطرة والتحكم والتوجيه من جهة، وعبر الإقناع والقبول والرضا من جهة ثانية، يتم ذلك عبر أجهزة و تنظيمات الدولة التي تحاول أن تستمر فعاليتها وشرعيتها بهدف الوصول والتأثير على منظمات وهيئات المجتمع المدني المستقلة نسبيا عن الدولة، هذه المنظمات و المؤسسات التي تشكل قوام المجتمع المدني تغطي فضاءً اجتماعياً واسعًا يمتد من الأسرة إلى التنظيم الإنتاجي الخاص، والنقابات والمؤسسات الدينية والمنشئات التعليمية و... وصولًا إلى الأحزاب السياسية والبرلمان، وعبر هذه الهيئات يمارس المجتمع المدني فعالياته ونشاطه على مختلف الأصعدة، ويحافظ في الوقت نفسه على سمته الخاصة أي مدنيته التي تبقى خارج متناول الدولة. [٢]

لقد أدخل جرامشي فكرة جديدة في المضمون الدلالي لمفهوم المجتمع المدني، باعتباره فضاء للتنافس الأيديولوجي، فإذا كان المجتمع السياسي فضاءً للسيطرة السياسية بواسطة القوة/السلطة، فإن المجتمع المدني فضاء للهيمنة الثقافية والأيديولوجية، و وظيفة الهيمنة هي وظيفة توجيهية للسلطة الرمزية التي تمارس بواسطة التنظيمات، التي تدعي أنها خاصة، مثل دور العبادة والنقابات...الخ, وأضاف جرامشي موضحا أن سيادة أي طبقة اجتماعية أو تحالف طبقي تستوجب هيمنتها، هذه الهيمنة الثقافية لا تعرف مركزاً أو تأتي عن آلية موحدة، بل هي نتاج نشاط متعدد المراكز، يقيم تنظيماته وأجهزته خارج الدولة، في فضاء المجتمع المدني تحديداً، في محاولة منها (الهيمنة) لإقامة سياسة للأيديولوجية يكون الهدف منها استعادة المجتمع المدني لحقه في ممارسة شرعيته والوصول إلى سيادته على مكونات وجوده الخاصة. [٣]

---

[١] المرجع السابق : نفس الصفحة

[*] والعلاقة الجدلية **Dialectical relation** عند جرامشي – كما ترى الباحثة – متأثرًا فيها بهيجل ثم ماركس وأخيرًا والأهم هو جان بول سارتر في جدل العلاقة بين البناء التحتي والفوقي.

[٢] كلثوم زعطوط : **مفهوم المجتمع المدني بين التأصيل النظري ومشكلة المرجعية** , مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية, العدد ٣٣ الجزائر, مارس ٢٠١٨, ص٤٠

[٣] المرجع السابق : ص ٤٠

لقد ركز جرامشي تحليلاته على البنية الفوقية للمجتمع، إذ ميز فيها بين مستويين كبيرين: مستوى أول، هو ذلك الذي يعبر عنه بالمجتمع المدني، يعني مجموع المؤسسات التي نقول عنها في اللغة المعتادة أنها "داخلية وخاصة"، ومستوى آخر هو المجتمع السياسي أو الدولة، ووظيفتها السيطرة والقيادة. ولقد بلور جرامشي مفهوم المجتمع المدني في ضوء وعيه بخطورة مؤسسات الدولة الأيديولوجية، فدرسها في فاعليتها الخاصة في الدول المتقدمة ؛حيث تؤدي دوراً أساسياً في إحباط حركات المقاومة والتمرد وخلق "أساطير" حديثة تغذي أحلام الجماهير وتستبدل الأهداف والرغبات في العالم بديلًا زائفاً ومستلباً، بينما تبقى الدولة القمعية (*) أساسية في العالم المتخلف. بالإضافة إلى تركيز جرامشي على دور المثقفين كعنصر أساسي للوعي، فالمثقف نتاج ثقافة ومنتج لثقافة ينبغي أن تدرس هذه وتلك من أجل تحرير قوى الفكر والإنسان من التبعية للمؤسسات الأيديولوجية.(١)

غير أن تطور مفهوم المجتمع المدني كان على يد أنطونيو جرامشي الذي لم يقبل حصر المجتمع المدني وربطه بالجانب الاقتصادي, فالمجتمع المدني لديه كينونة منفصلة ليس عن الجهاز القهري للدولة فحسب وإنما أيضا عن المؤسسات الاقتصادية للمجتمع بمعنى أن المجتمع المدني هو المؤسسات الثقافية والاجتماعية والأنشطة المجتمعية التي تتحرك وتنشط داخل مجتمع ما لتكون وظيفته مزدوجة ،الدفاع عن مصالح ممثليه والتصدي لهيمنة الدولة هيمنة أخرى "الهيمنة عن طريق الثقافة والأيديولوجيا ».وفي نظر جرامشي تكون مهمة المجتمع المدني من حيث هو أجهزة ومؤسسات تنتج وتوزع وتنشر الأيديولوجيا الخاصة بالطبقة، إن الجديد في التصور الجرامشي هو أن المجتمع المدني ليس مجالًا للمنافسة الاقتصادية كما أبرزه كل من هيجل وماركس، بل إنه مجال للتنافس الأيديولوجي.(٢)

٥ – معني المثقف عند جرامشي:

وفي تعريفه للمثقف يرفض تماما التقسيم الشائع للمجتمع كفئتين : الشغيلة اليدويين والشغيلة المفكرين , إن هذا التقسيم يجري حسب اعتقاده , في ظاهر النشاطات الفكرية وليس في مجموع نظام العلاقات التي تجد نفسها متداخلة بالنظام العام للعلاقات الاجتماعية , صحيح أن العامل أو البروليتاري مثلًا لا يتميز بخصوصية العمل اليدوي أو الآلي, ولكنه يتميز بهذا العمل ضمن إطار علاقات اجتماعية معينة ومحددة , ويرى جرامشي أن في كل عمل جسدي حتى ذلك الميكانيكي

(*) وهنا لم نجد أية إشارة من جرامشي إلى التأثير السلبي للدولة القمعية على الوحدة الوطنية في شكلها التاريخي والزاني □ كما ترى الباحثة –

(١) المرجع السابق : ص٤٠

(٢) بن سماعين موسى: **مشكلة الدولة (الديمقراطية والمجتمع المدني في فكر بر□ان غلسون)** , رسالة ماجستير غير منشورة, تحت إشراف ا. د : إسماعيل زروخي, جامعة منتوري قسنطينة , الجزائر, ٢٠٠٦, ص٦٩

والمنحط هناك, حدا أدنى من المهارة, أي حد أدنى من النشاط الفكري المبدع , غير أن هذه المهارات لا تحدد موقعه الاجتماعي بل العلاقات العامة الاجتماعية هي التي تحدد وتميز هذا الموقع .[١]

إن جرامشي، لا ينطلق في تعريف المثقف، من التصنيفات والمراتب, التي تحددها الرؤية الأكاديمية الصرفة والسوسيولوجية للمثقفين والتي تعتمد علي معايير التخصص الدقيق والتقنية في التعليم ومستوي المعيشة، ونمط الاستهلاك وأسلوب الحياة، غير أن جرامشي في تحديده لمفهوم المثقف، نجده يتخطى جدلياً و تاريخياً المفهوم، الذي كان سائداً في القرن التاسع عشر الأوروبي الذي يتسم بالتمييز بين العمل اليدوي والفكري والذهني؛ حيث ساعد جرامشي علي توجيه ضربة قاضية للأفكار المُسبقة حول المثقفين، حين قال أن كل البشر مثقفون مُستدركا في الوقت ذاته، ولكن ليس لكل البشر وظيفة المثقف في المجتمع، في هذه الحالة يُعد كل إنسان يمارس مهنة وحتي خارج مجال مهنته هو إنسان يمارس نوعاً من النشاط الثقافي أي أنه فيلسوف فنان إنسان متذوق، يشارك في تصوره عن العالم لديه خط واع لمسلك أخلاقي.[٢] ومن هنا نراه يعتبر كل أنشطة الإنسان المتنوعة لها صبغتها الثقافية فالإنسان حامل للثقافة والقيم الثقافية.

ومما هو جديد أيضاً؛ تأكيد جرامشي أن جهاز الحكم, بكلا وجهيه, وجه الهيمنة, وإلى حد ما وجه السلطة, يتكون بالأساس من "مثقفين" إنه لا يعرفهم بوصفهم نخبة خاصة أو فئة, أو فئات اجتماعية خاصة , ولكن بوصفهم نوعاً من الاختصاص الوظيفي في المجتمع من أجل تلك الأغراض بتعبير آخر,[٣] يمكن القول أن كل إنسان هو إنسان مثقف ولكن ليس لكل إنسان في المجتمع وظيفة المثقف, يربط جرامشي إذن تعريف المثقف بوظيفته في المجتمع, أي أنه يأخذ في الاعتبار الاتجاه الذي يرجع فيه الثقل الأكبر للنشاط المهني المحدد, وما إذا كان هذا يميل نحو العمل الفكري أو نحو الجهد العضلي. ولهذا فإنه بينما كان من الممكن الحديث عن مثقفين , فإن من المستحيل من الناحية الأخرى الحديث عن غير مثقفي العمل الفكري أو نحو الجهد العضلي. ولهذا فإنه بينما كان من الممكن الحديث عن مثقفين, فإن من المستحيل من الناحية الأخرى الحديث عن غير المثقفين لأنه لا وجود لهم. فكل إنسان مهما كانت المهنة التي يعمل بها." يمارس نوعا من النشاط الثقافي, أي أنه فيلسوف فنان, إنسان متذوق, يشارك في تصور ما عن العالم, أي يثير

---

[١] مارك مجدي : **أنطونيو غرامشي والعلاقة بين المجتمع والمثقفين** , مرجع سابق , ص٤٣

[2]) Baker Gideon: Civil Society and Democratic theory: Alternative Voices, Rutledge, London and New York, 2002, P. 89.

[٣] إريك هوبزباوم : **غرامشي والنظرية السياسية**, ترجمة : محمود هدهود , مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية, المجلد السابع , العدد ٢٦,المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات, قطر, ٢٠١٨, ص١٢١

سبلًا جديدة في التفكير. ولكن عندما نتحدث عن المثقفين فهو يحصر المفهوم في أناس محددين يؤدون وظيفة محددة لهم خصائص مميزة . وهذه الوظيفة حسب جرامشي تتضح في عباراته" إن كل فئة (طبقة) اجتماعية ترى النور في بادئ الأمر على أرض وظيفة أساسية في عالم الإنتاج الاقتصادي فتخلق عضوياً, في الوقت نفسه الذي ترى فيه النور شريحة أو عدة شرائح من المثقفين الذين يزودونها بتجانسها وبوعي وظيفتها الخاصة, لا في المضمار الاقتصادي فحسب وإنما في المضمار السياسي والاجتماعي أيضاً, هؤلاء المثقفون المرتبطون بظهور طبقة اجتماعية أساسية هم المثقفون العضويون وتكمن وظيفتهم في تكوين تجانس فكري للطبقة الاجتماعية التي يمثلونها لا في قدرتهم على تشكيل تصور للعالم خاص بتلك الفئة وفي نقدهم كل الأيديولوجيات السابقة لظهور تلك الطبقة.[١]

احتل موضوع المثقفين عند جرامشي، منذ فترة مبكرة، مكاناً واسعاً في جهده النظري المميز، متطلعاً إلى تعميق مفهوم الدولة وإيضاح بعض وجود التطور التاريخي للشعب الإيطالي. كان يتخيل، وهو القائد السياسي، أن يحدد دلالة أجهزة الدولة الهيمنية التي تحيل لزوماً على مشروع الحزب الشيوعي، لا من حيث هو مقولة اجتماعية، بل بوصفه تنظيماً نوعياً يريد أن يؤسس دولة جديدة. فلا معنى للحزب الجديد، وهو تعبير عن المثقف الجمعي، إلا في سعيه إلى إزاحة دولة قديمة، ولا معنى للدولة، قديمة كانت أو حديثة، إلا في ما تملكه من أجهزة للهيمنة التي تحدد مواقع المثقفين ووظائفهم. تطلع جرامشي، في الحالتين، إلى وظائف المثقف المحتملة في المجتمعات المعاصرة)رأسمالية كانت أو غير رأسمالية محاولًا تصحيح نظرية الدولة وإكمالها، التي اختزلت في الماركسية التقليدية إلى صيغة بسيطة قوامها: الدولة – القوة، المستندة إلى العنف والإكراه لا أكثر. وواقع الأمر، أن هذه الماركسية الاختزالية، التي واجهت صورياً ديكتاتورية البرجوازية بديكتاتورية الطبقة العاملة، لم تتوقف كثيراً أمام الثورة البرجوازية الديمقراطية التي تشكل، تاريخيا، مرحلة من مراحل إنجاز الثورة الاشتراكية. اتكاء على هذا التصور، وهو سياسي في جوهره، ربط جرامشي بين الفاشية الإيطالية والثورة الديمقراطية المعوقة، تاريخيا، في إيطاليا، مشتقا سؤال الهيمنة الثقافية، مثل سؤال المثقفين بالضرورة، من "المسالة الجنوبية" الي تكشف عن عدم تكافؤ التطور بين الشمال والجنوب الإيطاليين.[٢]

ويؤدي المثقّفون دوراً أساسيًا في بناء كتلة تاريخيّة. وليسوا طبقة اجتماعيّة متميّزة لا طبقيّة نسبيّا. إنّ جرامشي يعتبرهم مرتبطين ارتباطًا عضويًّا بطبقة اجتماعيّة. إنّهم يؤدّون وظيفة

[١] المرجع السابق : ص ص ٤٣, ٤٤

[٢] فيصل دراج : **إدوارد سعيد والتقويض النقدي للاستعمار أنطونيو غرامشي وإدوارد سعيد: إشكالان مختلفان**, المجلة الثقافية, العدد ٨٢, الجامعة الأردنية, الأردن, ٢٠١٢, ص ٧

تطوير الصور الذهنيّة والتكنولوجيّات والمنظّمات التي تجمع أعضاء طبقة وأعضاء كتلة تاريخيّة في هويّة مشتركة كما يؤدّون وظيفة دعمها. أما المثقّفون البورجوازيّون فيقومون بهذا من أجل مجتمع برمّته تكون فيه البورجوازيّة مهيمنة. وأما مثقّفو الطبقة العاملة العضويّون فيستطيعون أن يقوموا بدور مشابه في إنشاء كتلة تاريخيّة جديدة تحت هيمنة الطبقة العاملة في ذلك المجتمع. وليقوموا بهذا عليهم أن يطوّروا ثقافة وتنظيما وتقنية متميّزة تميّزا واضحا وأن يقوموا بذلك في تفاعل مستمرّ مع أعضاء الكتلة الناشئة. فكلّ منهم هو عند جرامشي مثقّف في بعض الجوانب رغم أنّ الوظيفة الاجتماعيّة للمثقّف لا يقوم بها طوال الوقت إلاّ بعضهم. وفي هذه المهمّة كان الحزب في تصوّره "مثقفًا جماعيًا"collective intellectual.[1]

لا قيمة للمثقف عند جرامشي ولا ضمانة لفاعليته إلا إذا كان عضويًا؛ أي إذا ارتبط بمشروع طبقة سياسية، تماما كما أن الهيمنة لا قيمة لها إلا كجزء أو مستوى من مستويات العمل لتحقيق السيطرة الاجتماعية .إنها ليست منافية للسياسة ولكن مكملة لها، وإن كانت متميزة عنها .فالمجتمع المدني والمجتمع السياسي أو الدولة يسيران جنبًا إلى جنب ويجمع بينهما في كل نظام وحدة ديناميكية السيطرة الاجتماعية .[٢]

إن توسيع مفهوم المثقف والقطيعة مع التحديد الإنساني لوضع المثقف, يتيحان التأكيد بكيفية متزامنة على أن جميع الناس مثقفين بل فلاسفة (بالمعنى الذي تكون لهم فيه فلسفة تلقائية) دون أن تكون لهم مع ذلك "وظيفة المثقف". ويسمح هذا الموقف بإعادة النظر في الوهم الداخلي لكل فلسفة ونمط وجودها نفسه : اي اعتقادها بأنها مستقلة وصحيحة . ولا يكون الفيلسوف الديمقراطي كذلك إلا عندما يرفض أن يجعل من الفلسفة مجرد " مسألة تخصص" تعيد إنتاج النخب , إذ يتحتم عليه أن " يقتنع بأن شخصيته لا تنحصر في شخصه الفيزيقي, بقدر ما هي علاقة اجتماعية فاعلة تغير الوسط الثقافي.[3]

هكذا أخذت مسألة المثقفين في فكر جرامشي, مظهراً جديداً واضح المعالم . ولأجل فهم هذا" المجال", لابد من التذكير بالإشكالية الصوريلية . ذلك أن منح الاعتماد للمثقفين معناه, من

---

[1] روبرت كوكس : **غرامشي والهيمنة والعلاقات الدولية : مقالة في المنهج** , ترجمة : فوزية الفرجاني , مجلة شؤون الأوسط , العدد ١٦٢, مركز الدراسات الإستراتيجية, ٢٠٢٠, لبنان, ص ص ١٥١,١٥٢

[٢] محمد حدوي: **الجذور التاريخية لمفهوم المجتمع المدني في الفكر الغربي** , مجلة رهانات, العدد ٥٠,٥١, مركز الدراسات والأبحاث الإنسانية, ٢٠٢٠ , المغرب, ص ١١٥

[3] كلوكس مان , كريستين بوسي: **غرامشي والدولة نحو قراءة نظرية– سياسية لدفاتر السجن**, ترجمة: عبدالجليل الأزدي, مجلة الملتقى, العدد ١, عبدالصمد بلكبير, المغرب, ١٩٩٧, ص ٤٣

وجهة نظر صوريل, نعرف ذلك, الانفتاح على الثقافة الوضعية وعلى الإصلاحية, ومعناه إرجاع إشكالية الثورة إلى حلبة تعويض داخلي على البنية الاجتماعية القائمة. (١)

وهناك المثقف النقدي الذي يترد في الانحياز للثورة، وهو غاضب يشعر بالمرارة، ربما لأن الشعب لم يستشره، إنه المثقف الذي يغار من الجمهور، الذي توجه للثورة مباشرة من دون المرور بمراحل النقد المعهودة ، وهذا وضع جديد لا يخلو من المخاطرة، وهي المخاطر التي تجعل بعض المثقفين يخافون من الجمهور, وينظر بعض الثوريين للشعب كأنه كائن ميتافيزيقي.(٢)

من صفات المثقف السياسي ليكون نموذج عاماً نتعرف فيه إلى مثقف المرحلة الحالية الذي يزدحم به المشهد الآن إذ سنجده إما مسارعًا للانضواء تحت عباءة السلطة المهيمنة " دينية أو سياسية"/ خوفًا أو رغبةً/ مؤتمرًا بأمرها , مجترا مقولاته الفكرية الماضوية. وإما شبه صامت, منسحباً إلى قوقعته " كحلزون" يسوغ اختفاءه عن المشهد, بأن الظروف الموضوعية غير ناضجة ولا تسمح له على الصعيد الفردي أو المجتمعي بأن يفعل شيئا وبهذه التسويفية نراه يشرعن فعله السلبي, مكتفيًا بالمراقبة وحسب لتغفو مشروعاته- إن كان ثمة مشروعات- خابية تحت رماد البدايات المجهضة دومًا. (٣)

يكمن خطأ المثقف في اعتقاده بأنه يستطيع أن يعرف دون أن يفهم وعلي الأخص دون أن يحس، أو تثور حماسته إلا للمعرفة في ذاتها, بل لموضوع المعرفة أي في الاعتقاد بأن المثقف يمكن أن يكون مثقفا حقيقيا لا مدعيا فحسب، إذا كان منفصلًا عن الشعب ولا يحس بأهواء الشعب فلا يفهمها ولا يبررها، وبدون هذا الربط بين المثقفين والشعب والأمة لا تقوم قائمة للسياسة والتاريخ .(٤)

ومن ثم نري أن جرامشي طهر فكره الفلسفي من كل ما هو خارج التاريخ أو السياسة حتي في ايمانه عن علاقة المثقف بالمثقف وكذلك علاقته بالشعب، وقد رأينا كيف انتقد استقلال المثقفين المتقوقعين علي مركزتيهم وانفصالهم عن هموم طبقتهم التي قد تكون في حاجة ماسة لها؛ لأن جرامشي، يدعو إلي فلسفة تاريخية حتي يقوض كل ما هو متعالٍ وميتافيزيقي.(٥) وهنا يظهر لنا جرامشي التلاحم الشديد بين الأبعاد المتعددة وهي المثقف – الشعب – الفلسفة – التاريخ وبالتالي بالوحدة الوطنية.

---

١) نيكولا بادالوني: **غرامشي ومسألة الثورة** , ترجمة: عبدالجليل الأزدي , مجلة الملتقى , العدد ٣, عبدالصمد بلكبير, المغرب, ١٩٩٩, ص ١٤٢

2) Richard Hofstadter: Anti – **Intellectualism in American Life** (New York, Knopf, 1963, P39).

٣) أوس أحمد أسعد: **من المثقف في عصر الفوضى الثقافية**, مجلة المعرفة , العدد ٦٩٢, وزارة الثقافة ,سوريا, ٢٠٢١, ص ص ٢٠٢, ٢٠٣

4) Antonio Gramsci: **Selection Eron Prison,** notebooks, edited and translated, By: Quentin Hoare and Geoffrey Nowell Smith, Lawrence and wrence and wishart, London, 1978, P.57.

5) Eric R. walf.: **peasants prentice Hall**, New Jercy, 1960, p.10.

وكانت الأيديولوجيا عند جرامشي في نهايات القرن العشرين "تساوي الفلسفة وتساوي النظرة الكونية الشاملة، وتساوي السياسة، أي مجمل الأفكار التي تحرك مجتمعا ما، أو تكون أساساً لوجوده وحركته. وهي لا تشمل فقط النظريات والأفكار العامة، بل تشمل كذلك كل أنساق القيم والمعتقدات (...). لقد أعطى جرامشي الأيديولوجيا والبناء الفوقي استقلالية وقدرة على التأثير على البناء التحتي، وعَدَّ الأيديولوجيا بناء مكوناً من العديد من العناصر المتناسقة المشدودة بعضها إلى بعض في وحدة بنائية واحدة تتمحور حول عنصر أيديولوجي طبقي." [1]

إن جرامشي يحدد الأيديولوجيا بوصفها تصورا أو رؤية متماسكة ومتطورة للعالم. وأن وظيفة المثقفين هي إنتاج مثل هذه الرؤى والتصورات , ورأى أن أعداد المثقفين تتزايد كما أصبحوا أكثر تخصصاً, لكنه أثار تساؤلًا يختص بما إذا كان المثقفون يشكلون "جماعة اجتماعية (طبقة) معزولة ومستقلة بها, أم أن لكل جماعة (طبقة) اجتماعية مثقفيها أي فئة متخصصة خاصة بهامش المثقفين؟ ومال جرامشي إلى البديل الثاني , لذا نجده يرفض القول بأن المثقفين يشكلون طبقة معزولة ومستقلة بذاتها , وأنهم من ثم – في وضع يجعلهم ينتجون نظريات أو معلومات" غير متحيزة" أو موضوعية, مستقلة عن الطبقة التي يخدمون مصالحها. إن الخطأ الأكثر انتشاراً في مثل هذه الرؤية الخاصة بالمثقفين , هي البحث عن التمايزات, بشكل مجرد عن طريق التركيز على الطبيعة الداخلية لنشاطهم, أكثر من التركيز على السياق العام للعلاقات والمصالح الاجتماعية , إن المثقفين ينتجون أيديولوجيات خادمة للطبقة. [٢] وهنا يضع جرامشي بصمته على الثقافة أو القيم الثقافية ذات الطابع الاجتماعي الملموس فالمثقف عنده هو المعبر عن طموحات المجتمع.

لا شك في أن المؤرخ والمثقف, الملمين بأوضاع بلادهم، لا يستحق الواحد منهما أن يُسمي مثقفا فقط، ولا حتي مُفكراً فقط, لكنه ليبر الي نقدي ؛ إذ يمكنه أن يدافع عن حقوق المواطن وحرياته, ولكنه يعارض الثورة، ويري أن النظام يجب أن يُنتقد وأن يصلح ذاته في إطارا ت التقاليد والخبر ات المتجسدة عموماً في حكمة الدولة، كما يمكن تصنيف المثقف الإصلاحي الذي يحاول أن يؤثر في اتجاه تقديم التغيير عبر تسويات مدروسة، ويساوم في سبيل تغيير النظام من داخله، وينجح هذا المثقف الإصلاحي في حالة أنظمة تستنتج ضرورة الإصلاح والتكييف مع حركة التاريخ من أجل البقاء ، لكن هذا المثقف الإصلاحي يصل إلي طريق مسدود في نظام

---

[1] سعيد شبار: **الأيديولوجيا في الفكر العربي المعاصر ومركب الأزمات والحلول**, مجلة إسلامية المعرفة، السنة السابعة: العدد الخامس والعشرون, بيروت, ٢٠٠١, ص٢٠

[٢] فردريك. هـ. ز. جارو : **تحليل جرامشي للتخصصات في العلم الاجتماعي** , ترجمة: محمد عبدالحميد إبراهيم , مجلة منظمة اليونسكو, العدد ١٣٦, المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية, مصر, ١٩٩٣, ص ص ١٥٣,١٥٤

الاستبداد المطلق، فيضطر إلي أن يختار ما بين الموقف المحافظ والثوري .[١] و يرى جرامشي أن وسائل الإعلام والتعليم الحالية لا تدعم تنمية وتطوير الثقافات الخاصة بالفئات المهمشة والطبقات العاملة, ومن ثم فإن الدور الحقيقي للمثقف يكمن في العمل على تنمية وصناعة ثقافات تلك الطبقات.[٢]

٧- تصنيف المثقفين عند جرامشي

أ) **المثقف العضوي:** لم يبدأ الاهتمام بتعبير "المثقف العضوي " في بلادنا العربية وبلاد الشرق عموماً إلا منذ منتصف ونهايات ثمانينيات القرن العشرين وبدايات تسعينياته, بالتوازي مع اهتمام عالمي بالمفكر الماركسي الإيطالي جرامشي, وبصفة خاصة كتاباته وأفكاره عن المجتمع المدني.[3]

والمثقف العضوي بالمعنى الجرامشي هو الذي يبحث عن حلول لقضايا شعبه وأمته ووطنه، وقد ظهر في الواقع الثقافي الوطني العربي في عصر النهضة وصاحب رؤية توفيقية بين متطلبات العلم والتحديث من جهة، والحفاظ على الهوية من جهة أخرى، وعدم المقابلة السلبية بين المفاهيم المؤطرة للثقافة الوطنية كالمقابلة بين المفاهيم الإسلامية والمفاهيم القومية، الأصولية مقابل الحداثة، والتراث مقابل التجديد، ووضعها موضعٍ تبادلي إقصائي لا يقوم أحدهما إلا بإقصاء الأخرى . وهذا المثقف هو ما يمكن تسميته بالمثقف الوطني، إذا ما تسامى عن الخوض في الخلافات الطائفية أو المذهبية أو السياسية والاجتماعية، أو التحيز لأي من هذه الفئات على حساب فئات أخرى داخل الوطن الواحد، ووجوده في الواقع الثقافي الوطني ضئيل جداً وحياته بائسة.[4]

المثقف العضوي عند جرامشي متمثل في رجل الأعمال الرأسمالي, الذي يخلق جنباً إلى جنب مع التقني الصناعي, والمتخصص في الاقتصاد السياسي, والمنظم لثقافة جديدة, ونظام قانوني جديد.[٥]

---

1) Edmund Burke: **The Evils of Revolution**، Penguin Great Ideas (London: Penguin, 2008, P.266)

٢) تامر القزاز: **المربع الذهبي : ادوارد سعيد, جرامشي, فوكو, فانون** , مجلة أدب ونقد, المجلد ٢٥, العدد ٢٨٦, حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي, مصر, ٢٠٠٩ ص١٨

3) محمد فرج : **مثقف من طراز مختلف**, مجلة أدب ونقد , العدد ٣٦٩, حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي, مصر, ٢٠١٨, ص٥٤

4) د. ناجي علي الصناعي : **الثقافة الوطنية بين إشكالية المفهوم والتحديات الراهنة** , مجلة القلم , العدد الثالث, اليمن, يونيو ٢٠١٥, ص٣٢٢

5) Attilio Monasta: **Antonio Gramsci**, Paris, Unesco, international Bureau of Education, Vol. XXIII, No3/4,1993, p.6**00**

كذلك ينطبق مفهوم المثقف العضوي بالمفهوم الجرامشي على" المثقف الديني " بوصفه الأقرب والأقدر على ولوج نسيج الثقافة الشعبية المهيمنة في البلدان العربية, بما يفوق كثيراً ما يمكن أن يأتيه المثقف العربي المتغرب.[١]

كذلك يعرف جرامشي المثقف العضوي أنه يقوم بدوره كمخبر من موقعه الاجتماعي، ومن باب وعيه بمكانه في الجماعة الوطنية، وبدوره كمواطن تجاه الدولة.[٢] مما يؤكد عند جرامشي على الموقف الفعال للمثقف العضوي.

كذلك قصد جرامشي بالمثقف العضوي ذلك المثقف (الحزبي أو غير الحزبي) القادر على تبيين أن الواقع الاجتماعي القائم غير طبيعي, ويمكن تغييره بالقدرة على تحليل ثقافته ونقدها, وتحقيق الهيمنة الثقافية للمضطهدين. لقد أثار مصطلح جرامشي هذا ضجة في أوساط الحركة الشيوعية, واحتفى به مثقفون يساريون نقديون, ولاحقا " ما بعد حداثيون" على الرغم من أنه لا يعد نظرية, ولا هو تجديد فكري, إلا بالنسبة إلى الحركة الشيوعية التي قادها مثقفون لم تفرد أيديولوجيتهم مكاناً لهم كفاعلين تاريخيين.[٣]

هنا تبدو الصورة واضحة في تأكيد جرامشي على مسألة الاصلاح الثقافي؛ بمعنى أن المثقف العضوي يشتغل في حقل الثقافة الشعبية، تلك الثقافة التي تتحرك بمضمون أيديولوجي يتحرك كبنيات، مستقلة عن الأفراد، إلا أنها تحكمهم لا مرئياً، وهذا هو سر "البنى"، قلنا أن هذه الثقافة تتحرك بمضمون أيديولوجي، لكن هل تحتوي على محتوى نعم تحتوي لكنه محتوى "ميت"، فيكون الخطاب متحركاً من الخارج، بفعل الممارسة الزمنية لهذه الثقافة، التي أصبحت ثابتاً / مقدساً غير قابلة للتقويض والنقد فيتحول العقل السياسي والسلطوي من مركزه المشخص إلى منظومة رمزية (لا مرئية)، تشكل نظام العنف السياسي الذي يضمن البقاء للسلطة أطول فترة ممكنة، لذا عمل جرامشي على تقويض هذه الثقافة الشعبية التي تتنفس من الأنظمة الرمزية؛ لأن جرامشي كان يؤكد على نقد الحكمة الشعبية، والثقافة الشعبية، على الرغم من أنه يقدرها ويعتبرها فلسفة البسطاء إزاء العالم، لكن ما كان يحزنه هو أن هذه

---

[١] باتريسيا ماندوكي : **غرامشي في العالم العربي**, ترجمة: عز الدين عناية, مجلة فكر, العدد ٢٨, مركز العبيكان للأبحاث والنشر, السعودية, ٢٠٢٠, ص ١٢١

[٢] عمرو عادلي : **المخبر العضوي وتراث الوطنية المصرية** , مجلة عالم الكتاب, العدد٨٤,الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, ٢٠١٥, ص ٤٦

[٣] عزمي بشارة : **عن المثقف والثورة** , مجلة تبين , العدد الرابع , المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات , قطر, ٢٠١٣, ص ص٥,٦

الفلسفة تحتاج إلى أن تكون تاريخية، وهذا لا يتم إلا من خلال تقويض نظامها السياسي الذي يخدم السلطة من حيث لا تشعر.[١]

وعليه فإن المثقفين العضويين هم الذين يتولون مهام:

أولاً: تنظيم الوظيفة الاقتصاديَّة للطبقة التي يرتبطون بها.

ثانياً: تبرير الهيمنة التي تمارسها الطبقةُ السائدةُ في المجتمع المدني عبر مختلف الهيئات الثقافية.

ثالثاً: تنظيم الإكراه الذي تمارسه الطبقة السائدة على سائر الطبقات بوساطة الدولة، إذ يأتي منهم الوزراء وكبار موظفي الدولة.

رابعاً: تزويد الطبقة التي يرتبطون بها عضوياً بالوعي بمصالحها وتصورها المتجانس والمستقبلي للعالم.[٢]

وطبقًا لنظريته، فإن كل طبقة اجتماعية تدخل التاريخ بوصفها تعبيراً عن تطور الهياكل الاقتصادية ،هي بحاجة لبلورة رؤيتها الذاتية للعالم ووعيها الخاص بها إلى شريحة من المثقفين العضويين لقولبة أيديولوجيتها ورؤيتها للعالم. هذا هو سياق تشكل المثقفين حسب" أنطونيو جرامشي"، الذي اعتبر ذلك سيرورة تاريخية تمخض عنها نوعين من المثقفين هما: المثقف التقليدي الذي لا يؤدي أي وظيفة أو دور, والمثقف العضوي المرتبط عضوياً والمنتمي لجماعة يعبر ويدافع عنها في الطليعة.[٣] ومن أهم النقاط التي يعتبرها جرامشي مركز المثقف العضوي هي تحقيق التجانس في نظام تصورات المجتمع حيث أن جرامشي يعتبر هذه الوظيفة هي الفيصل بين المثقف التقليدي والعضوي .[٤]

إذن وظيفة المثقف العضوي حسب جرامشي هي تحقيق تصور للعالم أو أيديولوجيا خاصة بالفئة أو الطبقة التي يرتبط بها عضويا وأن يجعل هذا التصور يطابق الوظيفة الموضوعية لتلك الطبقة في وضع تاريخي معين, كما تكمن وظيفته أيضا في الجانب النقدي من نشاطه الفكري الذي يسهم في تحرير تلك الأيديولوجيات من الأفكار السابقة لظهورها. وأيضا للمثقفين استقلالهم النسبي عن الطبقة التي يرتبطون بها, فالمثقف العضوي ليس انعكاسا للطبقة الاجتماعية بشكل ميكانيكي,

---

[١] حيدر علي محمد : **إشكالية المثقف عند غرامشي** , رسالة ماجستير غير منشورة, تحت إشراف أ.د/ مدني صالح, جامعة بغداد, ٢٠٠٤ , العراق, ص ٧٨

[٢] هبة علي حسين : **دورُ النخبةِ السياسيَّة والمثقفِ السياسيّ في التحوّلِ الديمقراطيَ (العراق نموذجاً)** , مجلة حمورابي, العدد ٢٧ , ٢٨, العراق, ٢٠١٨, ص٩

[٣] يسعد شريف صحراوي : **المثقف والسلطة في الجزائر بين التبعية والاستقلالية ١٩٨٩– ٢٠٠٩**, رسالة دكتوراة غير منشورة , تحت إشراف أ.د/ حميطوش يوسف , جامعة الجزائر, الجزائر, ٢٠٢٠, ص٣٥

[4] Gramsci: **Selections from the Culture Writings** (London: Lawrence and Wish art, 1983), P.64.

بل يعود استقلالهم الذاتي إلى وظائفهم كمنظمين ومربين ومحققي تجانس للوعي الحقيقي. كما أن الاستقلال الذاتي للمثقف ينشأ بوجه خاص عن المنظمات المرتبطة بتلك الطبقات, ومن وجهة أخرى وجود هذه المنظمات بالذات يحدث من جهة أخرى " فجوة ما بين المثقفين والطبقات الاجتماعية.[١]

ب) المثقف التقليدي:

ومقابل الشكل الأول من المثقفين, أي المثقفين العضويين المرتبطين بطبقة اجتماعية والذين يعملون على إعطائها التجانس الأيديولوجي , يقيم جرامشي مفهوماً آخر للمثقفين يعتمد على أساس الرؤية التاريخية لتكونهم. وهو ما أسماه بالمثقف التقليدي؛ أي المثقف الذي ينتمي إلى طبقات اجتماعية زائلة أو في طريقها إلى الزوال. يقول جرامشي محددا مفهومه هذا: " ولكن كل مجموعة اجتماعية بنشوئها في تاريخ البنية الاقتصادية السابقة لها وكتعبير عن تطور تلك البنية وجدت على الأقل في التاريخ المعروف حتى الآن, فئات مثقفين موجودة قبلًا, بل وكانت هذه الفئات تبدو كممثلة لاستمرارية التاريخ غير المنقطعة وحتى من قبل التحولات الأكثر تعقيدا وجذرية للأشكال السياسية والاجتماعية".[٢]

أخذ إدوارد سعيد بتعريف جرامشي الشهير، الذي يقسم المثقفين إلى شكلين هما: المثقف التقليدي والمثقف العضوي. الأول، وهو أقرب إلى الثبات، يزاول مهنا متوارثة، مثل القاضي والمعلم والإداري ورجل الدين، على خلاف الثاني، الذي يرتبط مباشرة بطبقات أو مؤسسات تجارية تستخدم المثقفين لتنظيم مصالحها وتوطيد مواقعها وسيطرتها. وبما أن الطبقات لا توجد فرادى، بل في صراعها الطبقي، فإن هذا الصراع يترك آثاره على المثقفين، وفقا لشروط متعددة، تنتج مثقفين يساوون بين السلطة والمعرفة، وآخرين يندرجون في مشاريع ثقافية – سياسية تنقض المسيطر، سياسة وثقافة وقيما. ولعل هذا الصراع الذي يعرف الشدة والاعتدال والتراخي هو الذي يعطي المثقفين العضويين سماتهم الخاصة؛ فهم "دائمو التنقل، دائمو الشكل، على عكس المعلمين والكهنة ، كما يقول سعيد إن مواجهة السلطوي ببديل مستقبلي هي في أساس مفاهيم الهيمنة وحرب المواقع والمثقف الجمعي والحزب الشيوعي، عند أنطونيو جرامشي، وهي في أساس فكرة المثقف الذي يواجه السلطة بالحق، عند إدوارد سعيد.[٣]

---

[١] يسعد شريف صحراوي : **المثقف والسلطة في الجزائر بين التبعية والاستقلالية ١٩٨٩– ٢٠٠٩**,مرجع سابق : ص ٤٤

[٢] إريك هوبزباوم : **غرامشي والنظرية السياسية**, ترجمة : محمود هدهود , مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية, مرجع سابق , ص ص ٤٤,٤٥

[٣] فيصل دراج : **إدوارد سعيد والتقويض النقدي للاستعمار أنطونيو غرامشي وإدوارد سعيد: إشكالان مختلفان** , مرجع سابق, ص ٧٦

ومن هنا يستخلص جرامشي الفارق بين **المثقف التقليدي والمثقف العضوي ،المثقف التقليدي** يعيش في برجه العاجي ويعتقد أنه أعلى من كل الناس، في حين أن الثاني يحمل هموم كل الطبقات وكل الجماهير وكل الفقراء والمحرومين والكادحين . [1]

لا يفسر اختلاف المثقف التقليدي عن المثقف الحديث باختلاف طبائعهما، كما لو كان في كل منهما جوهر مختلف عن الآخر، بل بدرجة التطور الرأسمالي. لذا كان المثقف التقليدي العنصر المنظم في مجتمعات ذات قاعدة فلاحية وحرفية، تنتجه الطبقة المسيطرة كي ينظم الدولة والتجارة والقضاء والتعليم، خلافاً للمجتمع الصناعي الذي استولد أنماطا جديدة من المثقفين: الكادر التقني والمختص في العلوم التطبيقية، والجهاز الذي يؤمن الهيمنة والإدارة. وواقع الأمر أن جرامشي، وهو يتأمل دور المثقف في المجتمع الصناعي، قام بتوسيع تعريف المثقف توسيعا غير مسبوق، فجعل من المثقفين جمهوراً متميزاً تخترق وظيفته التنظيمية جميع فضاءات الحياة الاجتماعية، كان يكتب: "لا يحيل معنى المثقف فقط إلى تلك الفئات الاجتماعية التي تدعى تقليدياً بالمثقفين بل يحيل، بعامة، إلى كل الجمهور الاجتماعي الذي يمارس وظائف التنظيم بالمعنى العام: سواء كان ذلك في ميدان الإنتاج، أو الثقافة، أو الإدارة العامة "وعلى هذا، فإن تحديد موقع المثقف يتجاوز الأيديولوجيا والبنى الفوقية، ويتعين أولا بما هو خاص في نمط الإنتاج والقوى المنتجة الحديثة؛ أي جهاز الإنتاج. وهذا الإشكال يقصي كلياً "المعيار الداخلي " في تعريف المثقف بوصفه حاملا للوعي والحقيقة والأفكار، وينظر إليه في وجوده الاجتماعي الذي يتكشف في تقسيم العمل وفي عملية الصراع الطبقي، وهي عملية سياسية تخترق ميادين العمل في تقسيماته المختلفة. ولعل هذا الإشكال هو الذي يمنع عن المثقف العضوي للطبقة العاملة، الذي سيصبح المثقف الذي يواجه السلطة بالحقيقة عند إدوارد سعيد، صفة "المفكر بذاته, ويجعل منه المثقف السياسي للطبقة العاملة. وهذا يعني أن المثقف في ذاته لا يحول طبقة خاضعة إلى أخرى قائدة ومسيطرة ومهيمنة؛ فالذي ينجز هذا العمل هو "الأمير الجديد"؛ أي الحزب السياسي الطليعي الذي يسمح بقراءة جديدة لوظائف المثقفين. [٢]

وقد قسم جرامشي المثقفين إلى قسمين: المثقف التقليدي وهو الذي يواصل فعل الأشياء نفسها من جيل إلى جيل مثل المدرس والكاهن والموظف والمثقف العضوي, وهو صاحب العقل والمفكر المرتبط بصورة مباشرة بالطبقات أو المشاريع ذات المصالح المحددة, والتي توظف المثقف لتنظيم مصالحها أو في إحكام السيطرة والمزيد من السلطة, وأدرج جرامشي ضمن هذه الفئة التقني

---

[1] حفيظة بن قانة : **محاضرات في النقد الاجتماعي** , جامعة محمد البشير الإبراهيمي , الجزائر, ٢٠١٨, ص٦٣

[٢] فيصل دراج : **إدوارد سعيد والتقويض النقدي للاستعمار أنطونيو غرامشي وإدوارد سعيد: إشكالان مختلفان** ,مرجع سابق, ص٧٨

والخبير والمتخصص. وهو يرى أن المثقفين يمارسون دوراً حيوياً ومهماً في البناء الاجتماعي, باعتبار أن التماسك الاجتماعي من وظائف المثقفين. وهذا التقسيم يتأسس على قياس فاعلية المثقف, إذ يؤمن جرامشي أن المثقفين العضويين يشاركون في المجتمع بنشاط أي أنهم يناضلون باستمرار لتغيير آراء وتوسيع الأسواق, فالمثقفون العضويون هم دائمو التنقل, دائمو التشكل, على عكس المعلمين والكهنة الذين يبدون وكأنهم باقون في أماكنهم, يؤدون نوع العمل ذاته عاماً بعد عام" وحسب مفهوم جرامشي فكل من يعمل في أي حقل مرتبط بالمعرفة أو بنشرها هو مثقف.[١]

إن المشكلة الأساسية التي يطرحها جرامشي هنا فيما يتعلق بمفهوم المثقف التقليدي هي استمراريتهم التاريخية رغم انقطاع أدوارهم وزوال أوضاعهم، فهناك علاقة بين المثقفين التقليدين وبين السلطة التي تحاول ضم هؤلاء أيديولوجيا، ومن الطبيعي أن يحدث ذلك؛ لأن التركيبة الذهنية والطبقية تؤهل هذه الطبقة لأن تذوب مع السلطة، وإلا لماذا لم يجعل جرامشي المثقفين العضويين يقومون بهذا الدور؟ لأنهم مختلفون من حيث التركيب الذهني والوظيفي، إذن مشكلة المثقفين التقليديين تكمن في انحلال ذهنيتهم التاريخية، لكن يتم توظيف هذا الانحلال أيديولوجيا من خلال بقاء اتصالاتهم بالطبقات الاجتماعية حتي تقوم نفسها وتعيد استمرا رها التاريخي.[٢]

ج) مثقفو الشمال ومثقفو الجنوب:

السؤال الذي يطرح نفسه هو أن المجتمع يتكون من شرائح مختلفة من الفئات الاجتماعية، فهل تتفق هذه الشرائح في نظرتها الطبقية، بمعني أن لكل فئة ثقافة تميزها، فهل هناك تقارب بين ثقافة فئة معينة مع فئة آخري؟

صنف جرامشي هذا الإشكال من خلال تصنيف الثقافة والمثقفين تبعاً للجهة التي انحدروا عنها سواء كانوا منحدرين من الشمال أو الجنوب أو من الريف؛ تبدو الكتابة الآن عند جرا مشي قد تجاوزت مرحلة التنظير الإبستمولوجي؛ لأنها بدأت تتعامل مع المفاهيم الاكثر معاصرة لواقعنا، نجد جرامشي انطلق من واقع ايطاليا الذي كان مقسماً إلي شمال وجنوب، إذا انتقلنا من التصنيف الأفقي بين المثقفين التقليديين والمثقفين العضويين الذي اعتمده جرامشي ضمن ارتباطهم بوضعهم في حركة الصراع الطبقي، نجد جرامشي نفسه ينتقل إلي دراسة واقع المثقف ضمن خصوصية الجغرافيا والأصول الطبقية والعلاقة بين الشمال والجنوب والمدينة والريف، التي يتمزق بها خصوصاً إيطاليا. [٣]كأساس ثابت لتصنيف المثقفين؛ حيث إن دراسة وضع المثقف في تطور

---

[١] فوزي عمر سالم الحداد: **تأطير مفهوم المثقف** , حوليات آداب عين شمس , المجلد ٤٧, عدد أبريل , جامعة عين شمس, القاهرة, ٢٠١٩,ص ٨٢

[2]) John Hall: A. Civil Society, **Theory History, Comparison**, Cambridge, Polity Press, 1995, P. 94.

[٣]محمود أمين العالم: **العولمة وتحديات المستقبل**، كراسات آفاق الاشتراكية ، القاهرة، ٢٠٠٧ ، ص ٥٩

جرامشي هي، دراسة تاريخ المثقف الإيطالي في علاقته بنشوء وتطور الرأسمالية الإيطالية، إن قانون التطور اللا متكافئ الذي حكم تطور الرأسمالية في إيطاليا أبرز اختلافاً بنيوياً في سياق تطورها بين الشمال الصناعي الرأسمالي المتطور وبين الجنوب الفلاحي المتأخر تأريخياً، وينعكس في الوقت عينه على وجود فئتين من المثقفين، مدينة فلاحية ,فالمثقف المدني المنحدر من الشمال جاء من بيئة اجتماعية اقتصادية متطورة صناعية، وبالتالي ترعرع في الصناعة وارتبط بمصائرها، وأصبح يمثل نموذج المثقف العصري الذي يتمثل في نمط تقني المصنع الذي يربط بين الجماهير العمالية والطبقة الرأسمالية فالمثقف المدني مرتبط بعملية الإنتاج الرأسمالي؛ حيث إن برجوازية المدن الكبرى تنتج المثقفين للصناعة الرأسمالية، فلا يرى في الدولة كياناً متعالياً ومحايداً، بل يراها كعلاقة فاعلة، في الانتاج والاستغلال، والأمر الذي يمنعه دور المنظم الأيديولوجي للطبقات المسيطرة، بل إنه ينتزع في شروط محددة الالتحاق بالطبقة العاملة والدفاع عن قضيتها (جرامشي)، وتبعاً لذلك يكون المثقفون المدنيون عضويين، أما المثقفون الريفيون ومثقفو المحافظات فإنهم عادة ما يكونون موظفي الدولة, وأعضاء المهن الحرة باعتبارها حلم كل مثقف ريفي إيطالي، حيث إنه يعمل لاخضاع الجماهير الفلاحية لسلطة الدولة، ولكن جرامشي يقول ايضاً أن المجتمع التقليدي لجنوب إيطاليا بعض مثقفيه العضويين من أصحاب قبعة القش، ويقوم هؤلاء بدور الوسطاء بين الفلاحين من جهة وملاك الأراضي والحكومة من جهة أخرى، غير أن الطبقة الفلاحية لا تفرز بالضرورة المثقفين العضويين الخاصين بها، حتى إن وجد هؤلاء المثقفون فإنه في الأعم الأغلب يكونون غير منسجمين مع الطبقة التي أفرزتهم، وفضلاً عن ذلك فان المثقفين الريفيين الذين يضعون في صلبهم القسم الأعظم من رجال الدين في الجانب الأكبر منهم "تقليديون"؛ أي مرتبطون بالجماهير الاجتماعية الريفية وبالبرجوازية الصغيرة في المدن (وخاصة منها المراكز الصغرى) لم تتطور بعد، ولم يبدأ حركتها النظام الرأسمالي، إن كل طبقة تاريخية جديدة لابد لها من تعزيز مثقفيها العضويين الجدد الذين يقومون بدورهم بخلق ثقافة جديدة لها، تمتلك تصو راً جديداً للعالم والحياة والطبقة العاملة إذا تأصلت فيها هذه القناعة ودعت ذاتها كطبقة .(عارفة وفاعلة ومستقلة ذاتياً استقلالاً تاماً.[١]

نرى هنا ان جرامشي يساوي بين تقليدية المثقف وريفية موقعه الذي يشغله؛ حيث إن جرامشي لا يفصل ذلك لأنه يعتقد بأن الريف يمثل مركز إنتاج المثقف التقليدي، يقول جرامشي: (إن المثقفين من النمط الريفي هم إلى حد كبير "تقليديون" أي مرتبطون بالكتلة

[١] حيدر علي محمد : **إشكالية المثقف عند غرامشي** ,مرجع سابق , ص ص ١٧٠, ١٧١

الاجتماعية الفلاحية والبرجوازية الصغيرة في المدن (وعلى الأخص في مراكز المناجم) التي لم يجر بعد تحويلها وتحريكها من قبل النظام الرأسمالي).

يشرح بيوتي هذا النص حيث يقول:

(إن جرامشي يعارض هنا المثقفين الذين تنتجهم البرجوازية الصغيرة الريفية بالمثقفين الذين تنتجهم البرجوازية الصغيرة المدينة، فهؤلاء الأخيرون هم تقنيو الصناعة، وبصفتهم هذه المثقفون العضويون للبرجوازية الصناعية، لقد كان مثقفو البرجوازية الصغيرة الريفية، أي الأطباء والمحامون والكاتبون بالعدل ...إلخ يؤلفون في بداية عهد الرأسمالية المثقفين العضويين للبرجوازية المعملية لكنهم فقدوا مع نهوض الصناعة الحديثة أولويتهم، فناب منابهم التقنيون، إنهم يحتلون الآن موقعاً متوسطاً في المجتمع متأرجحاً بين الكتلة الفلاحية التي كان يمكن أن يصيروا مثقفيها العضويين (على اعتبار ان طبقة أصحاب المعامل والتجار قد ضاقت اجتماعياً فلم تعد صالحة لأن تكون ركيزة لهؤلاء المثقفين) وبين البرجوازية الصناعية التي ستسعى إلى شدهم إليها بمحاباتها إياهم وإغداقها النعم عليهم، ولقد كان كنه سياسية جيوليتي[*] الحيلولة دون انضمام هؤلاء المثقفين التقليديين بصفة شخصية – لا كممتلين لطبقة – إلى جهاز الدولة الحاكم، اذ منحهم امتيازات قانونية ومالية وبيروقراطية، وقمع بعنف من جهة ثانية جميع الحركات التمردية الفلاحية العفوية، ولقد كان محكوماً أصلاً على هذه الحركات بالفشل لافتقارها إلى المثقفين .(يسبغون عليها طابعها دائماً).[1]

إذن هل نستنتج من كل ما سبق ان الشمال يعتبر مصدر البرجوازية الصناعية الرأسمالية للمثقفين العضويين، والريف الجنوبي مصدر المثقفين التقليديين؟ يجيبنا عن هذا التساؤل بيوتي قائلا :

(يربط جرامشي التمييز بين المثقف التقليدي والمثقف العضوي بدراسة المشكلة التي يطرحها على توحيد البلاد من الانقسام بين الجنوب والشمال، فالجنوب وهو منطقة زراعية أساساً ينتج مثقفين تقليديين، بينما ينتج الشمال، وهو منطقة صناعية مثقفي البرجوازية العضويين، وللاستيلاء على مقاليد الدولة ولضمان التوحيد الاقتصادي والسياسي والثقافي

---

[*] **جيولتي** : (**١٨٤٢– ١٩٢٨**) , سياسي إيطالي, رئيس الوزراء (١٨٩٣-١٨٩٢) و (١٩٠٣- ١٩٠٥) و (١٩٠٦- ١٩٠٩) و(١٩١١- ١٩١٤) و (١٩٢٠- ١٩٢١)عرفت البلاد في ظله ازدهارًا ملحوظًا. عارض في دخول إيطاليا الحرب العالمية الأولى . غض الطرف عن الحركة الفاشية, وكان قادرًا لو شاء على سحقها. **انظر**: منير البعلبكي: **معجم أعلام المورد**, دار العلم للملايين, الطبعة الأولى, بيروت, ١٩٩٢, ص١٦٧

[1] حيدر علي محمد : **إشكالية المثقف عند غرامشي** ,مرجع سابق ,ص ص ١٧٢,١٧١

للبلاد سيتوجب على بروليتاريا الشمال أن تتمثل قبل ذلك أو أن تربط بها(مثقفي الجنوب التقليديين).[1]

من هنا نرى أن جرامشي لا يطيق الثنائيات سواء في الفكر الابستمولوجي أو على مستوى الفكر التاريخي والطبقي للمثقف كما هو الحال عليه في هذا الفصل؛ حيث نراه يستعمل هذين المصطلحين إجرائياً أي ليس هو الذي يفرضهما وانما الواقع الايطالي الذي كان يعيشه :- هناك ايطاليتان : الشمال الذي هو منطقة مصنعة جداً، والجنوب أو (المتزوجيورنو) الذي هو منطقة زراعية أساساً مع العلم بأن منطقة روما هي الوسط الواصل بين ذينك "البلدين". بعد توحيد البلاد وجدت إيطاليا نفسها أمام حقيقة واقعة الانفصال بين الشمال والجنوب. فقد كان الغزو اللومباردي قد مزق نهائياً منذ أكثر من ألف عام الوحدة التي أقامتها روما. وكانت حركة العاميات في الشمال وتقاليد الاستقلال الذاتي قد ولدت بورجوازية مقاولة عرفت كيف تقيم تنظيماً اقتصادياً مماثلاً لذاك الذي كان قائماً في الأقطار الأوروبية الأخرى.

أما في الجنوب فلم تنجز الادوات الإسبانية والبوربونية[*]شيئاً: فشبكات المواصلات لم يكن لها وجود، كما كانت الزراعة بدائية إلى درجة ما كانت تفلح معها في سد حاجات المنطقة، ولم تقلص السنوات هذا الانفصال، بل عمقته، وأن أساس هذا الانقسام هو الاستغلال الاقتصادي أما الشمال يطور صناعته وزراعته بإفقاره الاقتصاد الجنوبي، كيف يتم هذا الاستغلال؟ بصورة رئيسية على مستويين: وجهة توظيف فوائض الجنوب- والسياسة الجمركية للدولة، فمن جهة أولى توظف الدولة القسم الأكبر من الضرائب التي تجبيها قومياً في البنية التحتية الضرورية للتطور الصناعي للمنطقة الشمالية،[2] أضف إلى ذلك أن الادخار الخاص يذهب حيث الأرباح مضمونة ومرتفعة: إلى الشمال: أما من الجهة الثانية، فإن رأسمالية المنطقة الشمالية رأسمالية ناشئة، وما تز ال في مرحلتها الصاعدة، فهي مطمئنة إلى وجود منافذ تعريف في داخل البلاد؛ وعليه فإن لهذه الر أسمالية كل المصلحة في حماية نفسها من مزاحمة منتجات الأمم الصناعية الأكثر تطوراً وذلك بإنتاجها سياسة حمائية لكن إذا كانت هذه السياسة تساعد الرأسماليين، فإنها تضر بمزارعي الجنوب برفعها أسعار المنتجات الصناعية

---

[1] المرجع السابق : ص ١٧٢

[*] **البوربونية : البوربون** اسم أسرة مالكة فرنسية حكم بعض أفرادها فرنسا وإسبانيا ونابولي. يرجع اسم الأسرة إلى بلدة صغيرة بوسط فرنسا تعرف باسم بوربون لارشامبو. وقد أسس البوربون في فرنسا فرعًا من الأسرة الكابتية لملوك فرنسا.

انظر : **https:// m.marefa.org**

[2] المرجع السابق : ص ص ١٧٢,١٧٣

التي هم بحاجة إلى شرائها، نحن نرى إذن استغلال الشمال الاقتصادي للجنوب هو أيضاً استغلال سياسي على نحو مباشر؛ فالبرجوازية الشمالية تستخدم الدولة من أجل مركزة ذلك الاستغلال وتشديده، وعليه لم يخدم تفوق الشمال الصناعي تطور الجنوب بل عزز علاقة .(التبعية وجعلها دائمة، فحكم على الجنوب بأن يبقى منطقة زراعية؟)[1] مما يدل عندنا على أن مدخل الاستعمار السياسي هو الاستغلال السياسي وهو ما هو قائم حتى وقتنا هذا كما ترى الباحثة.

درس جرامشي في الدفتر الأول من دفاتر السجن، ممحوراً جهده حول الوضع الإيطالي، عدم تكافؤ التطور في التحولات السياسية والثقافية التي تجعل من الجنوب، معوق التطور، مستعمرة داخلية لشمال إيطالي صناعي أكثر منه تطورا. أوصلته هذه الدراسة إلى النتيجة التالية : "يمكن قراءة علاقة المدينة / الريف، الشمال / الجنوب، في أشكالها الثقافية " التي أفضت بدورها إلى نتيجة لاحقة أكثر أهمية للاستراتيجية السياسية تقول: يعكس التطور الثقافي لا متكافئ اختلافاً في بنى فئات المثقفين يتجلى في عدم تناظر علاقتهم بالدولة. ولهذا يسيطر في الجنوب، الذي لم يعرف تقريبا التطور الرأسمالي، نموذج تقليدي من المثقفين، مثل المحامي، أو مثل هؤلاء الذي يجسرون المسافة بين الجماهير الفلاحية وكبار الإقطاعيين عن طريق جهاز الدولة. ولعل انشداد "المثقف الجنوبي" أو "التقليدي" إلى الدولة هو الذي جعل معظم المثقفين التقليديين يعملون في جهاز الدولة البيروقراطي، سواء كانوا معلمين أو قساوسة أو موظفين، مشكلين درعاً أيديولوجياً، مرناً ومقاوماً في آن، يبزر ممارسات الدولة المختلفة ويسوغها. على خلاف ذلك، وبسبب تقدم الشمال الصناعي، فإن النموذج المسيطر فيه هو المثقف الحديث أي المثقف التقني العامل في المصنع، الذي يربط بين الجماهير العمالية والطبقة الرأسمالية. لا يعني هذا أبدا أن المثقف الحديث يعيد، في شرط مختلف، إنتاج دور المثقف الريفي، وإنما يعني أن المثقف الحديث، أو المديني، يخضع، بسبب الموقع الذي يعمل فيه، لآثار الصراع الطبقي المتجددة، التي تسهم في صياغة موقفه من الدولة. فالعلاقة بين الجماهير العمالية والدولة في الشمال لا تتحقق بواسطة فئات من المثقفين، بل عن طريق التنظيمات النقابية والأحزاب السياسية وجملة علاقات المجتمع المدني، التي تترك آثارها على المثقفين.[2]

وقد نشأ مثقفو المدن مع نشوء الصناعة , ونمو بنموها , وارتبط مصيرهم بمصيرها. ويمكن مقارنة وظيفتهم بوظيفة ضباط الصف في الجيش, فهم لا يملكون زمام المبادرة لوضع الخطط الإنشائية, لكنهم يشكلون صلة الوصل الفاعلة بين العمال ومدير المصنع الذين ينفذون خطة

[1] المرجع السابق : ص ١٧٣

[2] فيصل دراج : **إدوارد سعيد والتقويض النقدي للاستعمار أنطونيو غرامشي وإدوارد سعيد: إشكالان مختلفان** , مرجع سابق, ص٧٧

الإنتاج التي وضعتها" القيادة العامة" للقطاع الصناعي. ومثقفو المدن هم- بشكل عام – فئة منمطة, تتصل المرتبة العليا منهم بالقيادة العامة للقطاع الصناعي , وتندمج بها, أما مثقفو الريف, فهم – في معظمهم- مثقفون تقليديون أي أنهم مرتبطون بالجماهير الفلاحية, وببرجوازية المدن الصغيرة (وخاصة في المدن الصغيرة) التي لم يؤثر فيها النظام الرأسمالي, ولا أطلق مبادراتها. يتولى هذا النمط من المثقفين الوساطة بين الجماهير, من جهة وبين الإرادة المحلية أو المركزية, من جهة أخرى(محامون, كتاب عدل, وما شابه) فيمارسون – بالتالي – وظيفة سياسية- اجتماعية هامة, لأنه يصعب الفصل بين الوساطة المهنية والوساطة السياسية. بالإضافة لذلك, يتمتع مثقف الريف (أكان قس الرعية, أو المحامي, أو كاتب العدل أو الطبيب) بمستوي معيشة متوسط , يعلو على مستوى الفلاح المتوسط, أو يختلف عنه, على الأقل, وبذلك يمثل هذا المثقف- في نظر الفلاح- نموذجًا اجتماعيًا- يتطلع إليه في سعيه للخروج من وضعه, أو لتحسين حالته. لذا فهو يحلم- دائما – بأنه يصنع من واحد من أبنائه على الأقل مثقفًا (وقس رعية, على الأخص), أي أن يجعل منه " خواجة" فيرفع بذلك من مركز أسرته الاجتماعي, فتتيسر أموره الاقتصادية عن طريق الصلات التي لابد له من أن يقيمها مع غيره من " الخواجات". [١]

وموقف الفلاح من المثقف موقف ذو وجهين , وقد يبدو متناقضًا. فهو يعجب بالمركز الاجتماعي الذي يحتله المثقف والموظف, بشكل عام, لكنه يتظاهر- أحيانا- بأنه يحتقر هذا المركز, بمعني أن إعجابه مشوب غريزيًا بعناصر من الحسد والكراهية الشديدة. وإن الذي لا يأخذ بعين الاعتبار هذه التبعية الفعلية للفلاح تجاه المثقف, ولا يدرسها على نحو عيني, أو يتعمق بها, لن يفهم شيئا من حياة الفلاحين الجماعية. ذلك أن كل تطور عضوي للجماهير الفلاحية يرتبط – إلى حد ما- بحركات المثقفين, ويعتمد عليها .و يختلف الأمر بالنسبة لمثقفي المدن , فالفنيون في المصانع لا يمارسون أية وظيفة سياسية تجاه الجماهير العاملة, أو أن المرحلة التي كانوا يمارسون فيها مثل هذه الوظيفة انقضت , وقد يحصل العكس أحيانًا إذ تمارس الجماهير العاملة تأثيراً سياسياً على الفنيين عن طريق مثقفيها العضويين. غير أن محور المسألة يبقي التمايز بين المثقفين, بوصفهم جماعة عضوية مرتبطة بطبقة اجتماعية أساسية وبين المثقفين بوصفهم جماعة تقليدية (قائمة بذاتها), وهذا تمايز يفسح المجال أمام سلسلة كاملة من المشكلات والأبحاث النظرية الممكنة.[٢]

---

[١] أنطونيو غرامشي : **قضايا المادية التاريخية**, ترجمة: فواز طرابلسي , الطبعة الأولى, دار الطليعة , بيروت , ١٩٧١ , ص ص ١٥٣,١٥٤

[٢] المرجع السابق : ص ١٥٤

٨- الوحدة الوطنية بين النظر والممارسة الفعلية:

لا بد من دراسة ونقد وتحليل مختلف الأشكال التي تجلى فيها مفهوم وحدة النظرية والممارسة في تاريخ الفكر, لأنه ما من شك بأن جميع الأيديولوجيات والمذاهب الفلسفية قد عالجت هذه المسألة – مقولة القديس توما الأكويني المدرسة السكولاستية : " الممارسة امتداد للنظرية", أي التأكيد على العلاقة الضرورية بين تراتب الأفكار وتراتب الأفعال , ملاحظة ليبنتز الشهيرة حول العلم (التي مسخها المثاليون الإيطاليون) "بقدر ما يكون العلم تأمليًا, بذاك القدر يكون عمليًا" ثم محاولة فيكو " المعرفة فعل" – التي أثارت نقاشات وتفسيرات عديدة, والتي يطورها كروتشي باتجاه مثالي, إذ يقول : بما أن المعرفة فعل, فإننا نعرف ما نفعله فقط , هنا تكتسب كلمة " فعل" معنى خاصًا, إذ تضحي معادلة لكلمة " معرفة" – فتنتهي المسألة إلى مجرد طوطولوجيا*...

بما أن كل فعل هو محصلة إرادات متباينة تتأثر بدرجات متفاوتة من الكثافة والوعي والانسجام , بالمقارنة مع الإرادة الجماعية فمن الواضح – إذن – أن النظرية التي تماثل هذا الفعل, الضامرة فيه, لابد من أن تكون هي – أيضًا– تركيبًا من المعتقدات ووجهات النظر المخلطة والمتنافرة. لكن ذلك لا يمنع أن تتطابق الممارسة والنظرية ضمن الحدود والشروط المبينة. وعندما تطرح مسألة الملائمة بين النظرية والممارسة , فإنها تطرح على النحو التالي:

١) الانطلاق من ممارسة معينة لبناء نظرية تصادف العناصر الحاسمة في هذه الممارسة وتتمثل بها , فتعجل من العملية التاريخية الجارية وتضفي على جميع عناصر الممارسة المزيد من الاتساق والتماسك والفاعلية – أي تمدها بالقوة الدافعة القصوى .

٢) الانطلاق من موقف نظري معين لتنظيم العنصر العملي الذي هو شرط تطبيق الموقف النظري نفسه .[1]

إن الملائمة بين النظرية والممارسة عمل نقدي, يثبت عقلانية الممارسة وضرورتها, كما يثبت عقلانية النظرية, وواقعيتها؛ لهذا السبب, تبرز مسألة الملائمة هذه بأوضح ما تبرز في حقبات التاريخ التي نطلق عليها عادة تسمية " مراحل الانتقال" عندما تتسارع حركة التغيير , وتكون القوى العملية التي أطلقتها هذه الحركة بحاجة إلى أن تبرر نفسها, على نحو واقعي, بإثبات مقدرتها على الالتحام بحركات عملية– وأن تبني الحركات العملية لهذه البرامج النظرية هو السبيل الوحيد لكي تصبح أكثر عملية, وأكثر واقعية.[٢]

---

* **الطوطولوجيا Totology :** تفسير الشيء بالشيء نفسه

[1] أنطونيو غرامشي : **قضايا المادية التاريخية**, ترجمة: فواز طرابلسي, مرجع سابق , ص ص ٦٦,٦٧

[٢] المرجع السابق : ص ٦٧

دخلت عبارة "فلسفة الممارسة" على وجه الخصوص في لغة النزعة المناهضة للمادية على وجه التحديد والتي كان من أهم دعاة هذا الاتجاه رودولفو موندولفو(*).(١)

تتشكل فلسفة الممارسة لدى "جرامشى" وهي ممارسة يراها مقترنة بالدور الذي أسنده "ماركس "للفلسفة بضرورة تغيير العالم وهي في الوقت نفسه لا تلغي الفلسفة باسم الممارسة، لكنها تحتفي بالفلسفة والممارسة معا، باعتبار الممارسة معيار الصحة النظرية كما أنها كما يراها أستاذنا تنقي الماركسية من كل النزعات النافية لها كالميكانيكية والتأملية التجريدية والاقتصادية، والتجزيئية والسكونية، والتوفيقية والنخبوية، كما يراها صراعاً بين التناقضات وحركتها ووحدتها، وهي اللقاء الحميم النقدي الفاعل المنتج المبدع بين الإنسان والطبيعة بين التاريخ والطبيعة، بين العلم والممارسة، بين المعرفة والسيطرة، بين المثقف والجماهير، بين الفكر النظري والمبادرة التاريخية، أي الانتقال في النهاية من الموضوعي إلى الذاتي، ومن الضرورة إلى الحرية، وهوما اعتبره "العالم" ليس خروجا عن الماركسية أو اللينية، بل كان تأكيدا وتعميقا لهما معا، وتصديا لمحاولات الجمود والتنميط فيهما.(٢)

إن العلاقة بين النظرية والتطبيق تصبح أكثر توثقًا كلما كانت الرؤية أكثر جذرية من حيث طابعها التجديدي ومعارضتها لأساليب التفكير القديمة . إن الأحزاب – حسب– جرامشي هي البوتقة التي ينصهر فيها ويتوحد كل من النظرية والتطبيق باعتبارهما عملية تاريخية حقيقية . من هذا يتضح أنه ينبغي أن تعتمد الأحزاب في تشكيلها على العضوية الفردية, وليس على العضوية الجماعية؛ لأنه إذا كان المطلوب هو توفير قيادة عضوية لكتلة الجماهير النشطة اقتصاديًا بأكملها , فعلى هذه القيادة أن تتخلى عن التخطيطات القديمة وأن تجدد وتبدع , غير أن هذا التجديد لن يأتي من الجماهير في البداية, على الأقل , إلا من خلال نخبة, وهذه النخبة قد تحولت لديها الرؤية المضمرة في النشاط الإنساني إلى وعي متسق منهجي, حاضر دائما, وصارت إرادة محددة بداية البداية– أو فلسفة الممارسة– أو النظرية الثورية عند جرامشي .(٣)

---

* **رودولفو موندولفو** : (**١٨٧٧ م– ١٢٩٤هـ**) فيلسوف ومؤرخ إيطالي للفلسفة , يعد من رواد الماركسية في إيطاليا.

له :" على خُطي ماركس" , وهو كتاب يفسر فيه موندولفو, أفكاره الماركسية من وجهة نظر اشتراكية ديموقراطية. **انظر** :

روني إيلي ألفا : **موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب (ج٢)**, دار الكتب العلمية , الطبعة الأولى, بيروت, ١٩٩٢, ص ٤٨٧

1) Antoni Gramsci: **Selections from the prison notebooks of Antoni Gramsci**, Opcit,p. 28

٢) مجدي أحمد عبدالحافظ: **محمود العالم : من الميتافيزيقا إلى الماركسية ومن لينين إلى جرامشي** , مجلة إبداع الإصدار الثالث, العدد١٠, ١١,الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, ٢٠٠٩,ص ١٧٥

٣) محمد محمود: **انطونيو جرامشي, المثقف العضوي والمجتمع**, مجلة أدب ونقد , مجلد ٢١, العدد٢٣٨, حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي ,مصر, ٢٠٠٥, ص١١٤

إن الإنسان الجماهيري النشط يمارس نشاطًا تطبيقيًا لكنه لا يحمل وعيًا نظريًا عن نشاطه التطبيقي الذي يشتمل برغم ذلك على فهم للعالم يستطيع (من خلاله تحويل) هذا العالم . ومن الممكن أن يكون وعيه النظري متعارضاً, تاريخياً, مع نشاطه . وربما نقول أن لديه وعيين نظريين (أو وعي واحد متناقض) , أحدهما متضمن في نشاطه, يعمل- في الواقع- على توحيده بجميع رفاقه اتحاداً حقيقياً من أجل تبديل الواقع فعلا, والآخر علني أو لفظي ورثه من الماضي وتشرب به بلا نقد. إلا أن هذا التصور اللفظي لا يخلو من النتائج فهو يقيم صلات مع زمرة اجتماعية معينة ويؤثر في السلوك الأخلاقي وفي توجيه الإرادة , لكن ذلك يكون بصورة متفاوتة لكنها مؤثرة غالبًا بما يكفي لتوليد موقف لا يسمح فيه حال الوعي المتناقض بالقيام بأي فعل أو اتخاذ أي قرار أو أي خيار . والحصيلة هي السلبية (الانفعال) passivityالأخلاقية والسياسية. ولهذا السبب يحدث الفهم النقدي عبر صراع " الهيمنة " السياسية في الاتجاهات المضادة لها ويكون ذلك على المستوى الأخلاقي أولًا ثم عند المستوي السياسي لغرض الوصول إلى أرقى تصور للواقع , وإن وعي الفرد بأنه جزء من قوة مهيمنة (وهذا وعي سياسي) يعد المرحلة الأولى باتجاه وصوله تدريجياً إلى وعي الذات التقدمي الذي تتحد فيه , في النهاية, النظرية والتطبيق معًا لا يعد حقيقة آلية فحسب. بل هو جزء من سيرورة تاريخية يمكن ايجاد مرحلتها الأولية والبدائية في شعور شبه غريزي يدفع إلى الإحساس ب " التميز" و" الانفصال" شعور يرتقي إلى مستوى الامتلاك الحقيقي لتصور العالم على نحو متحد ومتماسك ؛ وهذا هو السبب وراء ضرورة التأكيد على أن التطور السياسي لمفهوم الهيمنة يمثل تقدماً سياسياً كبيراً فضلًا عن كونه مفهوماً سياسياً وتطبيقياً كبيراً , لأنه يفترض بالضرورة , وحدة فكرية وأخلاقية تنسجم مع تصور الواقع على نحو يتخطى الحس المشترك ويصير تصوراً نقدياً , لكن في حدود ضيقة.[1] ولكن هذه الحدود الضيقة تتسع كلما زادت قدرتنا على النقد – كما ترى الباحثة –

لماذا يقول جرامشي أن النظرية الحديثة (الماركسية) لا يمكن أن تتعارض مع المشاعر العفوية للجماهير ؟ أحد الاعتراضات الواضحة على هذا الادعاء هو ببساطة القول أن مجموعة متنوعة من الظروف التاريخية لا يبدو أن فلسفة التطبيق العملي قد تبنتها الجماهير. لكن هذا النوع من الاعتراض يسيء فهم ما يعنيه جرامشي بفلسفة التطبيق العملي فلسفة التطبيق العملي ليست مجموعة من الحقائق المقبولة والمثبتة حول الطريقة التي يعمل بها العالم الاجتماعي. لهذا السبب يدعى جرامشي أنه لا يمكن تقديمه في شكل عرض عقائدي رسمي , ومتوازن أسلوبياً وعلمياً.[2]

---

[1] أنطونيو غرامشي : **بين الفلسفة والجماهير .. هل يفهم العالم نفسه ليتغير..؟** , ترجمة : خالدة حامد , مجلة الدبلوماسي, العدد ٣٢, وزارة الخارجية – معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية , السعودية, ٢٠٠٧,ص٤٥

[2] Dylan J., Riley: **Hegemony, Democracy, and Passive Revolution in Gramsci's Prison Notebooks**, California Italian Studies,2(2), 2011, p.8

نتائج البحث:

بعد دراستنا لموضوع (الوحدة الوطنية عند جرامشي في ضوء فلسفته التاريخية "دراسة تحليلية نقدية"), فقد توصلنا إلى النتائج الآتية:

١) بما أن الدراسة هنا تأتي في إطارها التحليلي النقدي؛ إذن كان لابد لنا من تحليل موقف جرامشي إزاء هذه القضية والوحدة الوطنية وإطارها التاريخي) ثم محاولة نقدها بإبراز الجوانب الإيجابية والسلبية فيها.

إذن السؤال المطروح هو :

ما هو الشكل الفكري الجديد الذي طرحه جرامشي في إشكالية الوحدة الوطنية, وهل كانت له بصمته الخاصة والمختلفة تماماً عن من سبقوه؟ أم أنه أخذ منهم وأضاف إليهم؟

٢) مما يُذكر لجرامشي من إنجازات – وهي كثيرة– مثل واقعية جرامشي التي هي بلا حدود لأن الموضوع الذي نحن بصدده موضوع واقعي ملموس على أرض الواقع وليس على أرض الخيال السياسي, إذن هو على امتداد في كل الحياة السياسية, والذي– بلا شك– له تطبيقاته وخاصة على المجتمع الإيطالي.

٣) أراد جرامشي توضيح الفروق السياسية والطبقة الاقتصادية وذلك على الرغم – كما نرى– أن السياسة لا تنفصل عن الاقتصاد ولذلك يوجد نوع في الاقتصاد هو (الاقتصاد السياسي) الذي لا يمكن النظر فيه بمعزل عن التوجه السياسي والأيديولوجي سواء كان ليبرالياً أو اشتراكياً أو رأسمالياً أو انفتاحياً أو انغلاقياً أو استعمارياً أو انتهازياً... إلخ, وقد نجم عن ذلك ما يُعرف بالسوق الأوربية المشتركة , ذات التوجه السياسي والاقتصادي.

٤) اهتمام جرامشي الشديد بمفهوم الهيمنة Supremacy وهنا نسأل جرامشي هل الهيمنة (السيطرة) لها علاقة بمسألة الوحدة الوطنية؟

أو بمعنى أدق هل الهيمنة كفيلة بقتل روح الوحدة الوطنية في صبغتها التاريخية والسؤال الآخر لجرامشي هو هل بسط الهيمنة من قبل طبقة معينة كالطبقة العاملة مثلًا يختلف في تأثيرها من قبل الطبقة الارستقراطية (البرجوازية) مثلًا؟ سؤال لجرامشي.

٥) **جرامشي والثقافة**

أ) احتلت الثقافة مكانة عظيمة في الفلسفة السياسية عند جرامشي كما نرى ..

ولذلك نجده عالجها من زوايا متعددة ومنها مثلًا الانحراف الثقافي Cultural deviation ولكن كيف استطاع التغلب على ذلك؟

عموماً ترى الباحثة أن الإجابة تكمن في القدرة على إزالة الفوارق بين الطبقات الثقافية الشعبية أو المتمدينة وذلك لأن الهدف واحد والغايات مشتركة.

ب) الحركة الجماهيرية mass movement والثقافة المهيمنة – تأتي الحركة الجماهيرية عن طريق الثقافة (التثقيف) العقلي والمعنوي وزيادة الحافز الوطني والقومي – إنها الثقافة الجديدة – كما نراها نحن – عن جرامشي.

ج) إن من انجازات جرامشي توطيد العلاقة وبروزها بين المثقف والجماهير, فالعلاقة هنا لا تنقسم, وإلا فما هي جدوى الثقافة والمثقف والمجتمع- ألا يدل ذلك عندنا – على الدور الخطير للمثقف في تدعيم الوحدة الوطنية بإلتصاقه بالجماهير في إطار وحدوي وطني !!

د) بين مثقفي المدن ومثقفي الريف كانت الفروق واضحة وعيانية عند جرامشي, وكانت هذه الفروق عنده منوطة – فقط – بالوظيفة والأداء والعمل.

هـ) يرى جرامشي أن مثقف المدينة يمكن أن نقول عنه أنه مثقف صناعي ارتبط بالتكنولوجيا والتصنيع ومتصل بالقيادة العامة.

ولكنه غير قادر على أخذ المبادرات (وإن كان هذا يُعد عيباً عند الباحثة) لأنهم مقلدون ليس لديهم القدرة على أخذ القرارات فهم تابعون فقط.

٦- أما مثقفو الريف فهم تقليديون ومرتبطون – فقط – بالشق الجماهيري الذي ينتمون إليه وهو الإنسان الريفي, فهم الواسطة بين الجماهير والإرادة المركزية.

إذن هم عند جرامشي يمارسون السياسة والعمل الاجتماعي معاً, إنه المثقف الريفي والنموذج المثالي للريفي البسيط.

وهنا ترى الباحثة أن جرامشي يوجه لنا الدعوة إلى الدور الاجتماعي والسياسي الحقيقي للمثقف في المجتمع سواء مجتمع الريف أو المدنية.

خلاصة الأمر عند الباحثة

١- جرامشي يصنع الثقافة في المركز وإذا تحدثنا عن الهيمنة بأشكالها المتعددة كالسياسة والاقتصادية فلابد أن تسبقها الهيمنة الثقافية, فهي ذات طابع خالص ومؤثر في الغايات وهي تمثل – عندنا- (كيف أدخل عقلك وفكرك).

٢- كما أن للعامل الثقافي دوراً كبيراً في تدعيم الوحدة الوطنية مما يؤدي إلى التوحد الوطني والثقافة أيضاً تاريخ, فتاريخنا الثقافي هو نفسه تاريخ وحدتنا الوطنية.

٧- موقف جرامشي من التاريخ

أ) ترى الباحثة أن جرامشي في فلسفته التاريخية تأملي هيجلي وواقعي ماركسي فقد جمع بين الجذور والفروع, فأصبحت قضاياه الوطنية كلها هي قضية سياسية ذات طابع نظري وعملي معًا موظفًا فيها التاريخ والثقافة والمجتمع والسياسة والدين.

ولذلك يرى جرامشي أن التطور التاريخي يبدأ من المجتمع المدني – إنها اللحظة الهامة التي يجب أن نقف عندها طويلًا- كما ترى الباحثة.

ب) لذلك ينادي جرامشي بقوة وفاعلية التاريخ في الممارسة؛ لأن التاريخ – كما ترى الباحثة – قوة الاستدلال وطرح الأمثلة والنماذج كمقدمة لتدعيم فكرته عن الوحدة الوطنية في إطارها التاريخي وجذورها المعرفية.

ج) يمثل جرامشي الانتقال من فلسفة التاريخ إلى التاريخ نفسه وكان من الواجب – كما نرى – هضم التاريخ أولًا ثم الصعود إلى فلسفته ومقولاته في مجالاتها المتعددة ؛ وذلك لأن التنظير عند جرامشي يجب أن يأتي بعد التفهم الأصيل والحقيقي للتاريخ ودروسه المستفادة كمنظومة سياسية وفلسفية أنها فعلًا الممارسة practice للتاريخ وتطبيقاته وتنبؤاته.

د) وأخيراً يأتي موقف جرامشي من التاريخ وعلاقته بالدين ؛ فقد أعاد جرامشي صياغة الدين بمقولات معاصرة مثل إدخال معاني العدالة – الحق – المساواة – دين العلو بالإنسان وليس الهبوط إلى أسفل الحياة- دين النمو والتطور ومن هنا كان لا بد من إدخال التاريخ في الدين من خلال منظومة تاريخ الأديان وعلاقتها بالتطور وخاصة بالشق السياسي (الوحدة الوطنية) كما ترى الباحثة .

٨- جرامشي بين النظر والممارسة

أ)وهنا يجب النظر بعين الاعتبار إلى موقف جرامشي من النظرية والتطبيق , بين الرؤية والممارسة في مسألة الوحدة الوطنية, ويأتي ذلك من باب الدراسة والتحليل أولًا ثم التطبيق ثانياً, وهذا ما كان يدور عليه فكر جرامشي, فتحليل الجزئيات يشكل الإطار الوحدوي الوطني وكيفية تفعيله.

إنه في نظرنا فيلسوف الترابط connection philosopher **فلا نظر دون ممارسة ولا ممارسة إلا بتنظير .**

ب)وتعتقد الباحثة أن هذا هو الوضع الطبيعي في كل دراسة سياسية تطبيقية أيًا كان موضوعها وموضوعها هنا هو (الوحدة الوطنية).

ولكننا وجدنا التشويه على ذلك والالتزام الفعلي له عند جرامشي على درجة كبيرة من الأهمية وهذا يجعلنا نرجع إلى مقولة فرنسيس بيكون أن المعرفة قوة Knowledge is power .

ج) أعتقد أن الممارسة عند جرامشي ذات طبيعة ماركسية, فقد أراد ماركس ممارسة فلسفته الماركسية الجدلية على أرض الواقع بغية تغيير الواقع وكذلك جرامشي يرى أن تغيير العالم لا يكون بالنظر إليه فقط بل بمحاولة تغييره إلى الأفضل عن طريق الممارسة والنظرة الجديدة.

د) وإذا أخذنا مثالًا على ذلك نجد فكرة الحزب عند جرامشي هي البلورة الأساسية للعلاقة بين النظرية والتطبيق , باعتبارها ذات طابع عملي تاريخي فالأحزاب نشاط وفاعلية سواء مع أو ضد الأنظمة القائمة, فالحزب لا ينفصل عن التاريخ إنه امتداد وليس انقطاع.

٩- النزعة النقدية عند جرامشي

أ) أعتقد أن الموقف النقدي Critical position عند جرامشي هو الذي جعله قادراً على تفعيل آرائه ونظرياته في ضوء النقد الذاتي والموضوعي subjective and objective criticism وخاصة وهو يعالج قضية شائكة ذات طابع سياسي واجتماعي وثقافي هي قضية الوحدة الوطنية.

ب) كما تبدو هذه النظرة النقدية واضحة في انتقاده للفلسفة الماركسية رغم أنه ينتمي إليها وخاصة فيما يتعلق بنشر الثقافة الجماهيرية.

ج) إذن انطلاق الثقافة عنده يأتي من المجتمع المدني السفلي والعلوي أي من البناء التحتي والعلوي وما بينهما كما يرى أن المثقف العضوي organic cultured يمثل العقل الجماهيري.

د) اعتقد أن جرامشي نفسه هو مثقف ثوري revolutionary cultured وهو لا يحبذ بل ويشجب مثقف السلطة cultured of authority الذي ينتمي إلى مثقف سلطة سياسية معينة حتى ولو كانت جائزة , إذن المثقف هنا هو المعبر عن الطبقات الاجتماعية ولذلك فهو مفكر ثوري revolutionary thinker لماذا؟

لأن المفكر الحر والثوري هو الوحيد القادر على النقد دون خشية أو خوف ولذلك فإن جرامشي مفكرٌ ثوريٌ بكل ما تحمله الصفة من معاني وخاصة وأنه يريد تغيير الواقع بالثقافة والسياسة والعلم, كما أنه قادر على بث الحماس في الجماهير لتغيير أوضاعهم إلى الأفضل بنقد الواقع الملموس.

وبعد هذا العرض للنتائج يأتي سؤالنا هل استطاع جرامشي في النهاية أن يصل بأفكاره إلى الدولة المثالية ideal country من خلال قضية الوحدة الوطنية في إطارها الإنساني والسياسي وهل استطاع أن يضع نظرية للحكم وأشكاله والأكثر منفعة للمجتمع الإيطالي؟

أعتقد أنه حاول بكل جهده أن يصل إلى ذلك (الدولة المثالية) أما موضوع إنجاز فكرة تطبيقية عن الحكم فهذا مالم يصل إليه ولكنه في الوقت نفسه أراد أن يجعل من الإصلاح الثقافي والوحدة الوطنية نسقًا سياسيًا ولذلك كان لا بد لنا من إجراء إصلاح ثقافي من الوجهة السياسية والاجتماعية حتى نصل إلى المفهوم والتفعيل الحقيقي للوحدة الوطنية عند جرامشي.

وفي النهاية يمكننا القول – كتقييم لفكر جرامشي– أنه يمتاز بتماسك الأفكار consistency of idea أي الترابط والتسلسل والفاعلية بقدر كبير في فلسفته السياسية ذات الطابع الوحدوي الوطني, ونجد ذلك إذا أعدنا قراءة كتاباته الهامة مثل ملاحظات حول ميكافيللي والسياسة والدولة الحديثة ١٩٤٩م وكتابه البعث ١٩٤٩. وقد ظهرت نظرياته وآراؤه بوضوح تدعيماً للفكر الماركسي الوحدوي الوطني ولكن بطريقة جرامشية خاصة وفريدة؛ ولذلك يمكننا الاستفادة منها في واقعنا إلى حد كبير وذلك على المستوى السياسي والتاريخي والاقتصادي والثقافي هذا – فقط – إذا استلهمنا منها الجانب المعاصر التطبيقي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر

١. انطونيو جرامشي : **الأمير الحديث قضايا علم السياسة في الماركسية**, ترجمة: زاهيي شرفان , قيس الشامي, الطبعة الأولى, منشورات الجمل, بيروت, ٢٠١٧

٢. أنطونيو جرامشي : **الثقافة , الفلسفة والوعي النقدي** , مجلة الملتقى , العدد ١٠,٩ , عبدالصمد بلكبير, ليبيا, ٢٠٠٢

٣. أنطونيو جرامشي : **بين الفلسفة والجماهير .. هل يفهم العالم نفسه ليتغير..؟** , ترجمة : خالدة حامد , مجلة الدبلوماسي , العدد ٣٢, وزارة الخارجية – معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية , السعودية, ٢٠٠٧

٤. أنطونيو جرامشي : **في الوحدة القومية الايطالية** , ترجمة : فواز طرابلسي , دار منشورات المتوسط ,الطبعة الأولى, ايطاليا, ٢٠١٧

٥. أنطونيو جرامشي : **قضايا المادية التاريخية**, ترجمة: فواز طرابلسي , الطبعة الأولى, دار الطليعة , بيروت , ١٩٧١

٦. أنطونيو جرامشي : **كراسات السجن** , ترجمة : عادل غنيم , دار المستقبل العربي , القاهرة, ١٩٩٤

ثانيًا: المراجع العربية

١. إريك كام , وفلاديمير كلودفيشيرا: **الاشتراكية والقومية**, ترجمة د. وميض نظمي, بديع نظمي, مجلة العلوم الاجتماعية , المجلد ١٢ العدد ٤, جامعة الكويت, الكويت, ١٩٨٤

٢. إريك هوبزباوم : **غرامشي والنظرية السياسية**, ترجمة : محمود هدهود , مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية, المجلد السابع , العدد ٢٦,المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات, قطر, ٢٠١٨

٣. أوس أحمد أسعد: **من المثقف في عصر الفوضى الثقافية**, مجلة المعرفة , العدد ٦٩٢, وزارة الثقافة , سوريا,٢٠٢١

٤. باتريسيا ماندوكي : **غرامشي في العالم العربي**, ترجمة: عز الدين عناية, مجلة فكر, العدد ٢٨, مركز العبيكان للأبحاث والنشر, ٢٠٢٠

٥. تامر القزاز: **المربع الذهبي : ادوارد سعيد, جرامشي, فوكو, فانون** , مجلة أدب ونقد, المجلد ٢٥, العدد ٢٨٦, حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي, القاهرة, ٢٠٠٩

٦. حفيظة بن قانة : **محاضرات في النقد الاجتماعي** , جامعة محمد البشير الإبراهيمي , الجزائر, ٢٠١٨

٧. د. أمينة رشيد : **لماذا جرامشي ؟ جرامشي (قضايا المجتمع المدني)** , دار كنعان, الطبعة الأولى , دمشق, ١٩٩١

٨. د. ناجي على الصناعي : **الثقافة الوطنية بين إشكالية المفهوم والتحديات الراهنة** , مجلة القلم , العدد الثالث, اليمن, يونيو ٢٠١٥

٩. روبرت كوكس : **غرامشي والهيمنة والعلاقات الدولية : مقالة في المنهج** , ترجمة : فوزية الفرجاني , مجلة شؤون الأوسط , العدد ١٦٢, مركز الدراسات الاستراتيجية,لبنان, ٢٠٢٠

١٠. سعيد شبار: **الأيديولوجيا في الفكر العربي المعاصر ومرّ كب الأزمات والحلول**, مجلة إسلامية المعرفة، السنة السابعة: العدد الخامس والعشرون, بيروت,٢٠٠١

١١. الطاهر لبيب : **درس غرامشي**, مجلة الملتقي, العدد ١, عبدالصمد بلكبير ,ليبيا, ١٩٩٧

١٢. عبدالعزيز الخال : **مفهوم الكتلة الديمقراطية عند غرامشي** , مركز نماء للبحوث والدراسات , أوراق نماء (١١٨) ,القاهرة

١٣. عبدالعزيز لبيب: **الواقعية الطوباوية والأسطورة عند غرامشي الشاب**, مجلة الفكر العربي المعاصر , العدد ١٢١,١٢٠, مركز الإنماء القومي, بيروت, ٢٠٠٢

١٤. د. عبدالعزيز رفاعي , د. حسين عبدالواحد الشاعر: **الوحدة الوطنية في مصر عبر التاريخ**, عالم الكتب, القاهرة, ١٩٧٣

١٥. عزمي بشارة : **عن المثقف والثورة** , مجلة تبين , العدد الرابع , المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات , قطر, ٢٠١٣

١٦. عمرو عادلي : **المخبر العضوي وتراث الوطنية المصرية** , مجلة عالم الكتاب, العدد٨٤,الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, ٢٠١٥

١٧. غازي الصوراني : **مدخل إلى الفلسفة الماركسية**, الطبعة الأولى , غزة, ٢٠١٨

١٨. فردريك ه ز. جارو : **تحليل جرامش للتخصصات في العلم الاجتماعي** , ترجمة: محمد عبدالحميد إبراهيم , مجلة منظمة اليونسكو, العدد ١٣٦, المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية, مصر, ١٩٩٣

١٩. فوزي عمر سالم الحداد: **تأطير مفهوم المثقف** , حوليات آداب عين شمس , المجلد ٤٧, عدد أبريل , جامعة عين شمس, القاهرة ٢٠١٩

٢٠.فيصل دراج : **إدوارد سعيد والتقويض النقدي للاستعمار أنطونيو غرامشي وإدوارد سعيد: إشكالان مختلفان,** المجلة الثقافية, العدد ٨٢, الجامعة الأردنية, الأردن, ٢٠١٢

٢١.كريم زيدان : **غرامشي ومسألة الفلكور** , مجلة الملتقى , العدد ٣, عبدالصمد بلكبير , ليبيا,١٩٩٩

٢٢.كلثوم زعطوط : **مفهوم المجتمع المدني بين التأصيل النظري ومشكلة المرجعية** , مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية, العدد ٣٣, الجزائر, مارس ٢٠١٨

٢٣.كلوكس مان , كريستين بوسي: **غرامشي والدولة نحو قراءة نظرية– سياسية لدفاتر السجن,** ترجمة: عبدالجليل الأزدي, مجلة الملتقى, العدد ١, عبدالصمد بلكبير, ليبيا, ١٩٩٧

٢٤.لوسيانو كروبي: **مفهوم الهيمنة عند غرامشي** , ترجمة: عبدالجليل الأزدي, مجلة الملتقى, العدد١, عبدالصمد بلكبير, ليبيا, ١٩٩٧

٢٥.مارك مجدي : **أنطونيو غرامشي والعلاقة بين المجتمع والمثقفين** , مجلة أدب ونقد, العدد ٣٦٩, حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي , القاهرة, ٢٠١٨

٢٦.مجدي أحمد عبدالحافظ: **محمود العالم : من الميتافيزيقا إلى الماركسية ومن لينين إلى جرامشي** , مجلة إبداع الإصدار الثالث, العدد١٠,١١,الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة, ٢٠٠٩

٢٧.محمد حدوي: **الجذور التاريخية لمفهوم المجتمع المدني في الفكر الغربي** , مجلة رهانات, العدد ٥٠,٥١, مركز الدراسات والأبحاث الإنسانية, المغرب, ٢٠٢٠

٢٨.محمد فرج : **مثقف من طراز مختلف,** مجلة أدب ونقد , العدد ٣٦٩, حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي, القاهرة, ٢٠١٨

٢٩.محمد محمود: **انطونيو جرامشي, المثقف العضوي والمجتمع,** مجلة أدب ونقد , مجلد ٢١, العدد٢٣٨, حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي ,القاهرة, ٢٠٠٥

٣٠.محمود أمين العالم: **العولمة وتحديات المستقبل،** كراسات آفاق الاشتراكية ، القاهرة، ٢٠٠٧

٣١.محمود جرن : **غرامشي وتحديات الوعي الطبقي للعولمة** , المجلة الثقافية العدد ٨٦,٨٧, الجامعة الأردنية, الأردن, ٢٠١٥

٣٢.نيجيل م. جريفز : **المثقفون والبنية التاريخية للمعرفة والهوية : إعادة تقييم لأفكار جرامشي بشأن القيادة** , ترجمة: شاكر حسن راضي, مجلة المعرفة, العدد٦٣٤, وزارة الثقافة, سوريا, ٢٠١٦

٣٣.نيكولا بادالوني: **غرامشي ومسألة الثورة** , ترجمة: عبدالجليل الأزدي , مجلة الملتقى , العدد ٣, عبدالصمد بلكبير, ليبيا, ١٩٩٩

٣٤.هبة علي حسين : **دورُ النخبةِ السياسيَّة والمثقفِ السياسيّ في التحوّلِ الديمقراطيَ (العراق نموذجاً)** , مجلة حمورابي, العدد ٢٧ , ٢٨, العراق, ٢٠١٨

٣٥.يوسف شوقي مجدي : **البحث عن نظرية ثورية : نقد ألتوسير لجرامشي** , مجلة أدب ونقد , العدد ٣٨٣, حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي, القاهرة, نوفمبر ٢٠١٩

ثالثًا : الموسوعات والمعاجم :

١. إبراهيم مدكور : **المعجم الفلسفي** , الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية,١٩٨٣

٢. روني إيلي ألفا : **موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب (ج٢)**, دار الكتب العلمية , الطبعة الأولى, بيروت, ١٩٩٢

٣. م. روزنتال , ب. يودين : **الموسوعة الفلسفية (غ– ى)**, ترجمة سمير كرم , دار الطليعة , بيروت

٤. منير البعلبكي: **معجم أعلام المورد**, دار العلم للملايين, الطبعة الأولى, بيروت, ١٩٩٢

رابعًا: الرسائل العلمية

١. بن سماعين موسى: **مشكلة الدولة (الديمقراطية والمجتمع المدني في فكر برهان غليون)** , رسالة ماجستير غير منشورة, تحت إشراف ا. د : إسماعيل زروخي, جامعة منتوري قسنطينة , الجزائر, ٢٠٠٦

٢. حيدر علي محمد : **إشكالية المثقف عند غرامشي** , رسالة ماجستير غير منشورة, تحت إشراف أ.د/ مدني صالح, جامعة بغداد, العراق, ٢٠٠٤

٣. يسعد شريف صحراوي : **المثقف والسلطة في الجزائر بين التبعية والاستقلالية ١٩٨٩– ٢٠٠٩**, رسالة دكتوراه غير منشورة , تحت اشراف أ.د/ حميطوش يوسف , جامعة الجزائر, الجزائر, ٢٠٢٠

خامسًا: المراجع الأجنبية:

1. Alamin and Masum Sikdar: **Antonio Gramsci,s political Thought: An Analysis**, Research on Humanities and Social Sciences , Vol . 6, No. 18, 2016
2. Antonio Gramsci: **Selection Eron Prison,** notebooks, edited and translated, By: Quentin Hoare and Geoffrey Nowell Smith, Lawrence and wrence and wishart, London, 1978.

3. Attilio Monasta: **Antonio Gramsci**, Paris, Unesco, international Bureau of Education, Vol. XXIII, No3/4,1993.
4. Baker Gideon: **Civil Society and Democratic theory: Alternative Voices**, Rutledge, London and New York, 2002.
5. Chantal Mouffe: **Gramsci and Marxist Theory**, Routledge& Kegan Paul ,London,1979
6. Dylan J., Riley: **Hegemony, Democracy, and Passive Revolution in Gramsci's Prison Notebooks**, California Italian Studies,2(2), 2011
7. Edmund Burke: **The Evils of Revolution**، Penguin Great Ideas (London: Penguin, 2008)
8. Eric R. walf.: **peasants prentice Hall**, New Jercy, 1960.
9. Gramsci: **Selections from the Culture Writings** (London: Lawrence and Wish art, 1983)
10. John Hall: A. Civil Society, **Theory History, Comparison**, Cambridge, Polity Press, 1995.
11. Peter Mayo : **Gramsci : Power, Culture , Education**, en Actio Nova: Revista de Teoria de la literaturay, literature comparada, 2020
12. Richard Hofstadter: Anti – **Intellectualism in American Life** (New York, Knopf, 1963).
13. Steve Jones : **Antonio Gramsci** , Routledge Taylor & Francis Group, London and New York, 2006